محمد عنانى

جاسوس فى قصر السلطان

مسرحية



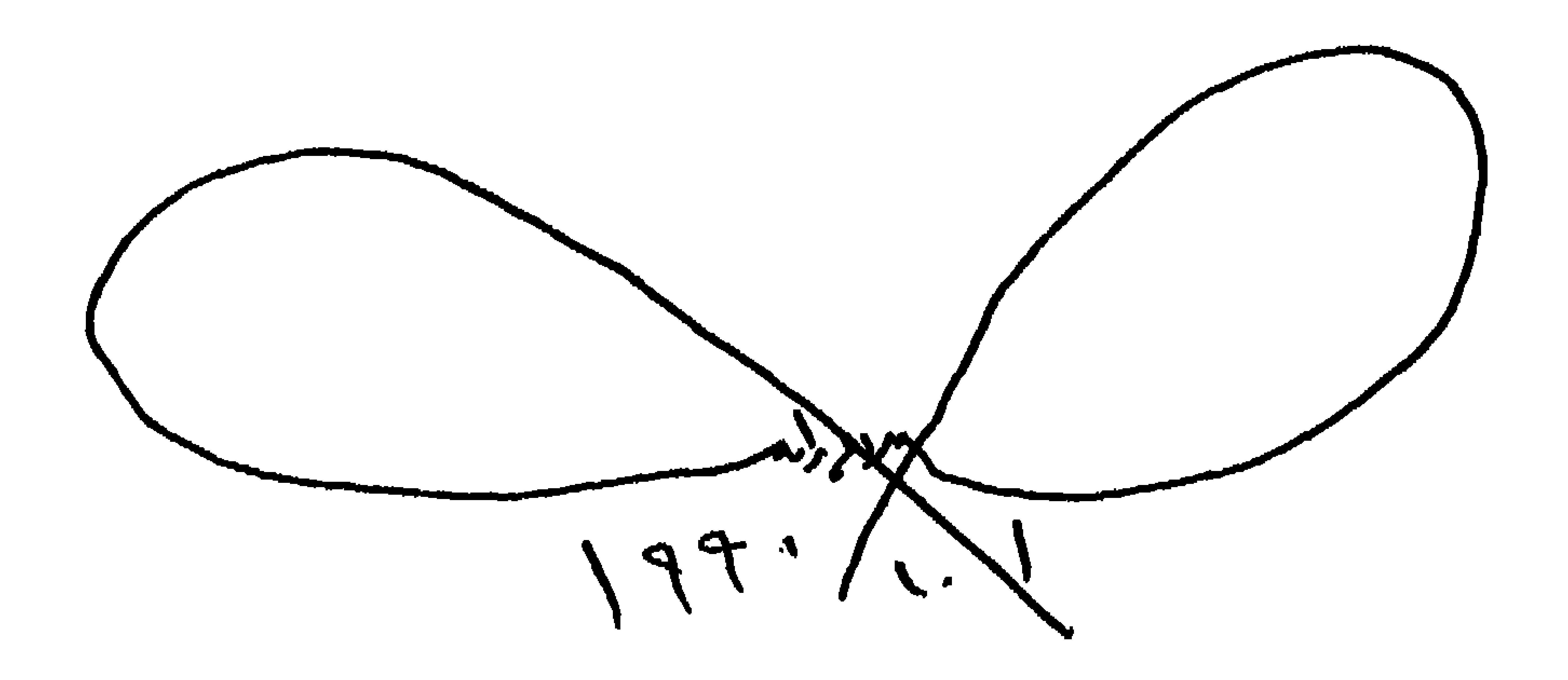
الهيئة المصرية العامة للكتاب

جاسوس في قصر السلطان

مسرحية

تأليف

محمد عناني



● الزمان ـ تقع أحداث المسرحية فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) إبان حكم المماليك .

● المكان ـ القاهرة .

الشخصيات

محمود	نجار مصرى .
غازية	مصرية تربت فى كنف المماليك
شهبندر	بحار مصرى شاب
حُسْنة	مصرية تعمل فى قصر السلطان
فرج الله	حداد مصرى تقدم به ا لسن
عبيد	خياط مصرى فى منتصف العمر
أم علية	فتاة تخطت الثلاثين
مسعود	مصرى شاب
خاتون	أميرة مملوكية شابة
السلطان	ملوك
سيف الدين القشقار	
علم الدين الباشقردى	قواد من المماليك
عز الدين الكرجى	
الشاعر	مصرى ماجور
صمغار - جاسوس - تترى	الرجل الغامض - جاسوس مصرى
المنادى - مصرى	رجل رقم ١ ورجل رقم ٢ مصريان
	جنود وحراس وخدم
	وجوارى القصر .

المشــهد الأول

(عندما يرتفع الستار نرى جانباً من أحد أحياء القاهرة القديمة ـ مقهى فى المنتصف وفى وسطه يجلس الشاعر ممسكاً بربابته وحوله حشد من أولاد البلد وبعض الأطفال ـ وإلى اليسار ثلاثة ذكاكين مفتوحة فارغة أحدهما لخياط (عبيد) والثانى لحداد (فرج) والثالث لنجار (محمود) . عندما يبدأ الشاعر فى الإنشاد يخرج الثلاثة فيجلسون على كراسى أمام الدكاكين ثم يندمج عبيد فى الإنشاد . على أقصى اليمين رجل يرتدى ملابس أهل البلد ولكنه يمسك ورقة وقلماً ويسجل ملاحظات متفرقة طول الوقت . منظره يوحى بأنه جاسوس ـ سنسميه الرجل الغامض) .

الشاعر ـ (ينشد) هجم الأميرُ على التّتارِ كأنه الليثُ الهَصُورْ

الجمهور ـ ليث هصور !

الشاعر ـ من عينِه انْطَقَّ الشرارُ كأنه سهمٌ جسورْ

الجمهور ـ سهم جسور .

الشاعر ـ وسهامُ جَيْشِ الله نافذةٌ وتسكنُ فى الصُّدورْ !

الجمهور ـ فى الصدور !

الشاعر ـ والجُنْدُ تزحفُ مثلَ موجِ البَحْرِ يجتاحُ الجُسورْ .
الجمهور ـ يجتاح الجسور .

الشاعر ـ وتَؤزهُمْ أزّاً فَنَارُ الحقِّ حارقةٌ تَمورْ
الجمهور ـ حارقة تمور
الشاعر ـ وعلى الأباطحِ سالتِ الأنوارُ وانهزمَ الغَرُورْ
الجمهور ـ انهزم الغرور
الشاعر ـ فاليومَ يومُ الحقِّ يومُ النَّصرِ رَيَّانُ السُّرور
الجمهور ـ ريان السرور
الشاعر ـ وَغَداً يفيضُ الخَيْرُ فى الدُّنْيا وتَنْصَلِحُ الأمورْ
الجمهور ـ تنصلح الأمور

(الرجل الغامض ينتقل من اليمين إلى اليسار)

عبيد ـ (يشترك فى الانشاد) وأنا المقاتلُ أُرْهِبُ الفُرْسَانَ
أُدْخِلُها الجُحورْ
الجمهور ـ أُدْخلها الجُحور
عبيد ـ وَأَنَا أَنَا .. سَبْعُ البُرُمْبَةِ لى جناحٌ كالنُّسُورْ
(لا يرد أحد)
لم لا يَرُدُّ النَّاسُ .. هَيَّا .. رَدِّدُوا ..
فرج ـ عُبَيْدٌ أنت خياطٌ ولست مقاتلاً فاسْكُتْ
محمود ـ بل يهوى مِثْلَ الشاعرِ هذا الهَذَرَ الكاذب

عبيد — اليَوْمَ يومُ الانتصار الفَذُّ هذا يَومُنَا

الشاعر — غَنُّوا أهازِيجَ الهَنَا : فاليومَ قد نِلْنا المُنى

وَغَـرَّدَتْ أَطْيَارُنَـا : وَزَغْـرِدَتْ أَلْحـانُنـا

(إلى فتاة) زَغْرِدِى يامُنى !

(تزغرد الفتاة)

فَـرَّ التَّتارُ من السُّيُوفِ والحِرَابِ والقَنَـا !

دُكَّتْ حُصُونُ الشِّرْكِ وانْكَسَرَ المُهِينُ لِعِزِّنا

من ذا يدينُ له الزمانُ بكل مَجْدٍ مِثْلَنَا ؟

(إلى الفتاة) زغردى يا منى

(تزغرد الفتاة)

عـاد الأميـرُ بـاللواءِ الحُـرُّ مَجْلُوُّ السَّنَـا

نصـرُ الأميـرِ نصـرُنـا وعِـزُّه من عِـزِّنـا

(إلى الفتاة) زغردى يا منى

(تزغرد الفتاة)

اليومَ قد نِلْنَا المُنى

محمود — (صائحاً) بل لم تَكُنْ تلك المُنى

(هرج ومرج ولغط بين الجمهور)

الشاعر — (فى دهشة) ماذا ماذا ؟

محمود — أقول هيا من هنا

(الرجل الغامض يعود إلى مكانه ويتظاهر بشرب الشاى بينما يدس الأوراق فى جيبه)

(ينهض الشاعر وينصرف ومن خلفه بعض الأفراد ويظل بعضهم على القهوة)

عبيد — هل كنتَ ترجو الانكسارَ إذن ؟

فرج — بل كان ينتظرُ الخَشَبْ

محمودُ نجارٌ سجينُ الشَّكِّ يحيا يا عُبيدُ فى الكُتُبْ !

عبيد — بل ليس فى دماغِه سوى الخشب !

أَوَلَا تُحسُّ يامحمودُ بالفَخَار لانتصارِنا على التَّتَارْ ؟

أَوَ لستَ تَحْفِلُ بالقضايا الوطنيَّة ؟

إنى شَهِدْتُ ذاتَ يومٍ موقعةْ

كانت ضِراماً ولَهَبْ . .

فرج — عاد عُبَيْدٌ للخيال

محمود — صَمتاً عبيدُ لاتَزِدْ

— لم لا تفرحُ مثلى بالنَّصْرِ الأكبر ؟

محمود — النصرُ عُبَيْدٌ ؟ أين النَصر ؟

كَمْ قِيلَ لنا قد جاء النصر

وبخيرِ الشامِ امتلأ البرّ

كم قيلَ لنا صَفَتِ الدُّنيا

وسَلِمْنَا شرَّ الزَّمنِ الأغبرْ

(يخرج الغامض الأوراق
ويسجل بحماس
وعينيه لا تبعد عن محمود
واذنه مفتوحه
لكلامه بالذات)

كم قيلَ لنا غابَ التَّتَرُ بِبَطْنِ الزَّمَنِ وَوَلَّوا
لم تَعُدِ التَّتَرُ تُحَارِبُ .. يَئِسوا ..
لو كانَ النصرُ حليفَ الأُمراءِ اليومْ
أو كانَ حَلِيفَهُمو بالأَمْسْ
أو كان حليفَهُمُو يوماً ما ..
ما عانينا هذى الضَّائِقَةَ القُصْوى
وقَطَفْنَا بعضَ ثِمارِ النصر
لَكِنَّ الكذبَ صريحٌ
وَقِحٌ وَصَرِيحٌ ومُبَاشِرْ

(يتحمس الرجل الغامض فى الكتابة)
إذْ يُعْلِنُ هذا المملوكُ السافِلُ عن غَزْوَةْ
قد يخرجُ حقاً للحربِ وقد لا يخرجْ .. لا ندرى
لكنَّ الشاعرَ يأتى كى يُنشِدَ نفسَ الأشعارِ المصنوعةْ
نفسَ الألفاظِ المسجوعة

يدعو فيها للفَرْحِ يُبشر بِزَوَالِ الغُمَّةْ
بَيْنَا يَسْغَبُ هذا الشَّعْبُ ولا يَجِدُ اللُّقمة

فرج — إنَّا حقاً فى ضائقةٍ يا محمود ولكنْ —

عبيد — لكنَّ الحربَ تكلِّفُنَا بَعْضاً من قُوت
لابُدَّ لنا أن نَتَحَمَّلْ .. أن ندفعَ ثَمَنَ النصر

محمود — النصرُ الموهومُ .. الكاذبْ ؟

فرج — لن يقنع محمودٌ إلا إن جاءت سفنُ الأخشابْ
(يضحك) لا تُرْضيه إلَّا الأخشابْ
عقلٌ خشبيٌّ من طولِ مُعَاشَرةِ الأخشابْ
ولماذا يا أحبابْ ؟
حتى يجمعَ شَمْلَ الأحبابْ
فعليَّةٌ تنتظرُ جهازاً من خِشَبِ الزَّانْ
لا يرْضِيها خشبُ المُوْسكى الأبيضْ !
(الغامض يسجل بحماس فى الدفتر)

عبيد — ما عيبُ الموسكي يا محمودْ ؟

محمود — بل ليتَ الموسكى موجودْ
السوقُ بمصر يا أصحابى فارغْ
لا يوجدُ نَجَّارٌ يَعْمَلْ . .

وقريباً ـ إن لم تأتِ الأخشابْ ـ
لن تجد فتاةٌ من يتزوجُها
أنا لا أحزنُ لوقوفِ الحَالْ
فقد اعْتَدْتُ الشِّدَّة . . .
لكنّى أحزنُ للكذبِ الفاضح

عبيد ـ أفَلاَ يمكنُ أنْ تَصْدُقَ أخبارُ النَّصْر ؟
اسألنى . . فأنا حاربتُ مع الأُمَرَاءِ
وأعرف كيف تكونُ الحربْ

محمود ـ الكذب ذميمٌ يا خياطُ
فأنْتَ تُرَدِّدُ ما تسمعُ من شاعرِكَ الأبْلَهْ
تتصورُ أنك قاتلتَ وخُضْتَ الأهوالْ
بينا لم تبرحْ هذا الدُّكانَ المُنْتِنْ
وكذلك فرجُ الحدَّادْ

فرج ـ أنا لا أحيا إلاَّ فى الواقعْ
أعرفُ أحوالَ الدُّنيا . . لا أخدعُ نفسى البتة
هى كالمِطْرَقَةِ على السِّنْدانْ
تضربُ فينا حين نَلينُ بنيرانِ الجُوع !

محمود ـ هل المَماليك قدرٌ ؟
مطرقةٌ فوقَ رؤوسِ البَشَرِ ؟
تشبيهُكَ الأصيلُ غيرُ صادقْ

حتى وإنْ صَدَقْ . .

لا تَنْسَ أننا . . فيه الحديدُ الساخنُ

عبيد — إن المماليكَ لنا دِرْعُ الحَيَاةْ

يَحْمُونَ أَرْضَنَا وعِرْضَنَا . .

محمود — بل يملكوننا

فرج — حُرٌّ يا محمودُ أنا

وكذلك أنتَ وأنتَ . . وَنحْنُ جميعاً أحرارْ

محمود — حُرٌّ فى أن أصنعَ مِنْضَدةً أو كُرسيّاً

من غير خشب ؟

أن أشتريَ القوتَ بلا مال ؟

أنْ أتزوجَ من أهوى ؟

(بمرارة) أو من لا أهوى ؟

يا أصحابى إن عَزَّ القوتُ وجَفَّ الضَّرعُ فلا حُرِيَّة

عبيد — فلسفةٌ خرقاء

فرج — وَشُيُوعيَّةٌ !

عبيد — بل أنت لا تعرف التَّتَار

(يسجل الرجل الغامض ويتابع النقاش)

لا تعرف الرقيق والجَوَارِى والإسار

فرج — محمودٌ لا يعرف إلا الأخشاب

عبيد — إن جاءته الأخشابُ اليوم
أصبح حُرّاً
أما إذا وصل التَّتَرْ —
محمود — يا صاحبىَّ إنَّ ساعدِى قوىٌّ
وأستطيعُ أن أذودَ عن حِياضِى إن أتى الخَطَر
أما الحياةُ فى ظِلالِ القَهْرِ فهى الموتُ والفَنَاءْ
فرج — قالوا تصلُ الأخشابُ غَداً أو بعد غَدٍ فاصبِرْ !
عبيد — من عادتها أن تتأخرْ

محمود — أَصْبِرُ شهراً أو شهرين
لكنى لم أَرَ أخشاباً من أعوام
ووعودُ الحُكّام الظُّلَمَةِ لا تخدعُ إلا الجَهَلَةْ
بالقصرِ الأكبرِ أخشابٌ لا يُحْصِيها العَدّ
(ينهض الرجل الغامض ويقترب من محمود)
بل لا يَعْرِفُ من فى القَصْر
(محمود ينظر إليه من طرف عينه ويتظاهر بأنه
لا يراه)
ماذا يَبْنُونَ بها (تدخل أم علية ومعهما شاب)
أم علية — صباحَ الخَيْر . .
عبيد — أمُّ عليةَ هَلَّتْ !
محمود — وعريسُ ابنتها الموعودْ

فرج ــ مَسْعُودْ ؟

أهلًا أهلًا . .

أم علية ــ الموكبُ أخَّرنى لكنَّ نقودى جاهزةٌ

عبيد ــ أى نقودٍ يا أم علية ؟

أم علية ــ ثمنُ الأشياء

عبيد ــ (ساخراً) أية أشياء ؟

أم علية ــ ثمنُ جِهازِ عليَّةَ طَبْعاً

(الغامض يخفى الأوراق فى جيبه)

فرج ــ أهلًا أهلًا

أم علية ــ البنتُ المسكينةُ تنتظرُ شهوراً

والمنكودُ يُوَفِّرُ مَهْرَهْ

إذْ لا يَمْلِكُ مِلِّيماً أحْمَرْ

لُكَعِى مَتْعُوسْ

حُجَّتُه فى التأخير جِهَازُ عَرُوسْ

ها هى ذى الأموالْ

(يدخل المنادى ويتجمع بعض الرجال ويندس بينهم الغامض)

المنادى ــ يا أَهْلَ البَرِّ انْتَبِهوا

غَرِقَتْ سُفُنُ الأخشاب

أغرقها سلطانُ التَّتَرِ بِعُرْضِ البحرْ

محمود ـ (ساخراً) فى يوم النصر الأكبرْ ؟

رجل ١ ـ ضاعت أخشابُ العَامْ

رجل ٢ ـ لن يَجِدَ النجارُ الخَشَبَ اللازمَ للأعراسْ

مسعود ـ غَرِقَتْ سُفُنُ الأخشابْ ـ أَسَمِعْتُمْ ؟

لن يتزوجَ إنسانٌ هذا العام

م علية ـ ماذا ماذا ؟ لن تَتَزَّوجَ بِنْتى

مسعود ـ أتزوجُها لكنْ . .

لا توجدُ أخشابٌ للعَفْشْ

أم علية ـ تتزوجُها فوقَ السَّطْح . .

فى العِشَّةِ . . فى الحُوشْ

(يخرج المنادى)

عبيد ـ غَرِقَتْ سفُن الأخشابْ ؟

فرج ـ أهلًا أهلًا

مسعود ـ لا توجدُ ألواحٌ تصلحُ للعفش

أم علية ـ لا يوجدُ لوحٌ غيرك

تخطبُها عاماً أسود

وَتُكَلِّفُنى مَالا أحتملُ ولا أقدِرْ

ثم تريدُ الهَرَبَ الآن ؟

مسعود ـ هذا محمودُ النجارْ . . ليسَ لديه خَشَبْ

محمود ـ لا تقلقْ يا مسعودُ سآتى بالأخشابِ من القَصْرِ الأكبر !

(فجأة يخرج الغامض الأوراقَ ويسجلُ ما يدور)

القلعةُ يحرسُها ألفُ كريهٍ أصْفَرْ
وأنا مهما أتخفَّى نجارٌ أسمَرْ
كَلَّا لنْ أذهَبَ لِلْقَلْعَةْ
سأُوا فِى أهلَ القَصْرِ على غَفْلَةْ
وأطالبُ بالحقِّ الثابتِ لى .. وَلَكُمْ ..
بعضُ الأخشابْ .. لن أطلبَ أكثر من هذا
أَعْرِفُ أنَّ السلطانَ الليلةَ يَعْصِرُهُ الهَمّ
بعدِ هزيمتِه النكراءِ بِعُرْضِ البَحْر
ولذلك لابد له أن يسمعَ صوتَ المَنْطِقْ
الخشبُ المخزونُ بحوشِ القصرِ كثيرْ
وإذا أعطانى بَعْضَه
زُفَّ المَسْعُودُ إلى بِنْتِكِ يا أُمَّ عليةْ
سأوافى أهلَ القصرِ غَداً

عبيد — (فى ذهول) مجنونٌ يا محمود ..
فرج — ماذا تنوى أن تفعلْ ؟
عبيد — هل تذهبُ للموتِ برجلك ؟
اصِبر يا محمودُ تَعَقَّلْ

(الغامض يقترب منهم ويتسمع ما يدور)

فرج — لن يسمحَ لك أَحَدٌ بدخولِ القصرْ

إنْ كنتَ تُريدُ مقابلةَ السلطان فهذا أمرٌ يحتاج لترتيب

مسعود ـ أعرفُ رَجُلًا يعملُ كنّاساً فى حَرَسِ القَصرْ . .

أم علية ـ مالكَ أَنْتَ وهذا ؟

هَلْ طاشَ صوابُك ؟

محمودٌ رجلٌ مجنونْ

محمود ـ لا تَخْشَوْاشيئاً يا أصحابُ من السلطان . .

فأنا أعرفُ كيفَ أُخاطِبُه

سأقولُ له الحقَّ بلا زُخْرُف

مسعود ـ لِمَ لا آتى معكَ إذنْ ؟

ام علية ـ اسمع يا مسعود ! .

إنك تعمل عندى فى المشغل

وعليك ديونٌ باهظةٌ لا تحتملُ التأجيل

هَيَّا نحنُ الآن ويكفينا ما حَلَّ بنا

عبيد ـ لكنْ أَظْلَمَت الدنيا والليلُ على الأبوابْ

محمود ـ لا تَخْشَوْا شيئاً قلتُ لكم . .

سأُوافى السلطانَ غداً عند طُلُوعِ الشَّمسْ

أمَّا الآن . . (يتظاهر بالسير على غير هدى لكنه

يقترب من الرجل الغامض ثم يقبض عليه فجأة)

فَلْنَحْبِسْ هذا الجاسوسَ المتعوسَ بِدُكَّانِ عُبَيْد

الغامض — لا لا .. إنّى أنَا — لستُ أنا

(يقبض الثلاثة عليه — فرج ومحمود وعبيد)

محمود — لن تقضى إلا ساعاتٍ محدودةْ .. فى دُكّانِ الخياط ..

راجعْ فيها ما سَجَّلْتَ من الأخبار ومن أسْرارِ النّاسْ ..

حَتّى إن أشرقَ صُبحُ الغَدْ .. أخْرَجْنَاكَ سليماً ومُعَافىً

أما إنْ حاولْتَ الهَرَبَ فويلٌ لَكَ مِنىّ

(يدخلون الغامض الدكان ويغلقونه عليه)

مَوْعِدُنا فى الغَدِ بعدَ صلاةِ الظُّهرْ

اظـــــلام

المشهد الثانى

(قصر السلطان ـ الساحة الوسطى فى القصر إلى اليمين ـ وفى الوسط باب ضخم يتحول إلى عرش الحاكم فيما بعد ـ وإلى اليسار غرفة يسودها الظلام ـ فى آخرها شباك مغلق . الأضواء خافتة توحى بقرب طلوع الفجر ـ عندما يرتفع الستار تخرج حُسْنة (وهى الوصيفة) من غرفة النوم وتتمطى وتتثاءب وعندئذ يسرع إليها حارس ويُسِرُّ إليها أمراً فتومىء إليه فيخرجُ ثم يدخل على الفور شهبندر وهو شاب فى ملابس الملاحين) .

شهبندر ـ (فى توتر شديد) حُسْنَةْ ! حُسْنَةْ !

حسنة ـ بَلْ قُلْ صَبَاحَ الخَيْرِ أَوَّلاً ..
لَمْ يَطْلُعِ النَّهَارُ بَعْد !

شهبندر ـ مازلتُ أعيشُ بِلَيْلِ الأَمسْ
آهٍ ياحُسْنة

حسنة ـ ماذا عِنْدَكَ ياشَهْبَنْدَرْ ؟
كيفَ تركتَ الملاحين .. فى هذى الساعة ؟

شهبندر ـ خَطَرٌ مُحْدِقْ ..

سِرٌّ لا يَعْلَمُه غيرى

(يهمس) جاسوسٌ فى قَصْر السُّلْطَانْ

حسنة ــ (فى خيبة أمل) كنتُ أظنك جئتَ لأَمْرٍ آخر . .

شهبندر ــ أرجوكِ استمعى ياحُسنةْ

أحلامى . . أحلامُك . . كُلُّ غرامٍ عشناه . .

كلُّ كلامٍ قلناه . . أمسى مثلَ سرابِ الهاجِرَةِ الخَادِعْ

لنْ تُقْلِعَ أَىُّ سفينةْ . . لن نَجْنِىَ ثَمَنَ الصَّبر

حسنة ــ (فى غضب) ألهذا جئت ؟

إنْ كنتَ سلوتَ حبيبَتك فلا دَاعِىَ للأَعْذَارْ

شهبندر ــ مازِلْتُ أُحِبُّكِ يا حُسْنة . .

لَكِنِّى الآنَ أسيرُ الهَمّ . .

فى قَصْرِ السلطانِ اليَوْم . .

جاسوسٌ تَتَرِىّ !

حسنة ــ (ساخرة) جاسوسٌ واحدْ ؟

شهبندر ــ تترىٌّ يا حسنة

حسنة ــ جواسيسُ التَّتَار كثيرْ

شهبندر ــ لكنَّ هذا يختلف (تنصرف عنه مغضبة فيلاحقها)

أرجوكِ اسْتَمِعى ياحُسْنة .

الرَّجُلُ أتى مِنْ فَتْرة . . وتَخَفَّى كَىْ يَخْدَعَ بعضَ الملاحين . .

صَادَقَهُمْ واستمع إليهم .. وبما عَلِمَ وَأَخْبَرْ ..
أغرقَ سُفُنَ الأَخْشابْ

حسنة — (تقترب منه فى ود) لكنك لم تنسَ حبيبتك الحُلْوَة ؟

شهبندر — (فى دهشة) أَنْسَاكِ ؟ ؟ ولِمَاذا جئتُ إليكِ إذَنْ ؟
لا يوجدُ فى قَلْبى إلاّكِ ولكنْ —

حسنة — لا تَذْكُرْ لكنْ —

شهبندر — حسنة !

حسنة — سَأُطَمْئِنُكَ إذنْ
لا يخفى شىءٌ فى هذا القصرِ عن العينِ اليَقِظَةْ
عينى لا تغفلُ وأنا .. أعرفُ كُلَّ الأسرارْ
لا تقلقْ ! اسمع مِنِّى ما أحكى
يعرفُ سلطانُ القَصْر بأمرِ الجاسُوس
وبأنَّ الرَّجُلَ تَخَفَّى فى عِدَّةِ أَزياءْ
زِىِّ الملاحِ لديكمْ والنَّجّارِ هُنا

شهبندر — هنا ؟

حسنة — أقصدُ فى البندرِ لا فى البَحر
يُحْكِمُ لَهْجَةَ أهلِ البَلَدِ وَمَلْبَسَ أهلِ البَلَدِ
وَيَزْعُم أنَّ له صَنْعَةْ
وَسَيأْتى هذا القَصْر على هَيْئَةِ نَجَّارْ
يطلبُ بعض الأَخْشَابْ

شهبندر — أتعرفونَ هذا كُلَّهُ ولا تُحَرِّكون ساكناً ؟

حسنة — الكُلُّ فى القصرِ على استعداد
لكنّهمْ لا يعرفونَ موعدَ الوُصول
لِذا فَكُلُّ حارسٍ لديهِ أمرٌ أن يُمَهِّدَ السبيلَ لَهْ
حتى يرى الذى يريدهُ
ويلتقى بحاكمِ البلادِ

شهبندر — تبغون أن يعرفَ كُلَّ شَىءْ

حسنة — نَعَمْ

شهبندر — هذا سفه !

حسنة — بل سوف يعرفُ الذى نريدُ أن يَعْرِفَهُ
حتى يُوَصِّلَ الذى نريدُ أن نُوَصِّلَه
كأنه مِرْسَالْ

شهبندر — سَفَهٌ سَفَهْ !
أغْفَلْتُمْ ما لايمكنُ إغْفَالُه
فالجاسوسُ هو التَّترىُّ الأكبرُ صِمْغـار
وَلَدَيْهِ حمامٌ زاجلٌ ووسائلُ عِلْمٍ عَصْرِيَّةْ
وجيوشٌ لاحَدَّ لِقُوَّتِها تنتظرُ الأمْر
قد أغرقَ سُفُنَ الأخشابْ
فى لَمْحَةِ عَيْن
والآنَ يجىءُ إلى هذا القصر !

إنْ يُتْرَكْ ضَاعَ النَّصْر
أو يُقْتَلْ ضاعتْ مصر

حسنة ـ نعرف ذلك !

شهبندر ـ لا يعرفُ أحدٌ شيئاً
صِمْغَارٌ ليس الجاسوسَ المأجور
وهو يُمَنِّى النفسَ بأحلامِ التّتر الكُبرى
أرضٌ تمتدُّ من النِّيلِ الكَوْثَرِ لمنابعِ دِجْلة

حسنة ـ ونُحيطُ بذلك عِلْماً ياشَهْبندر

شهبندر ـ ولا تحركون ساكناً ؟

حسنة ـ (تقترب فى دلال) شهبندرُ لِمَ تَشْغَلُ نَفْسَكَ
بِشُئُونِ الدَّوْلة ؟
أَوَ لَيْسَ لدينا ما نهتمُّ به غير حروب التتر ؟
(فى ألم) قد شابتْ رأسى وَأَنَا انتظرُ وُصُولَكْ
وأخافُ رحيلَكْ
ساعاتُ اليومِ طويلة
وهُمُومِ اللَّيل ثقيلة

شهبندر ـ (متأثراً بكلامها) حبيبتى يافِتْنَةَ العيون
إنى أراكِ فى تَمَوُّجِ المياهِ فى النَّسيمِ فى
اصطخاب البحر والسكون
وأرقبُ اليومَ الذى تَمْضين فيه من هنا ..
معى ..

لكننا أبناءُ هذه البلد
لا نملكُ الكثيرَ .. هذا إن مَلَكْنا أىَّ شىء
ونستحيلُ أحياناً قوارباً تلهو بها الأمواجْ
(يُضاء النور فى الغرفة المغلقة ـ وترفع الأميرة الستار عنها فنرى الأميرة تتمطى)

الأميرة ـ (صوتٌ من الغرفة) ها هو ذا .. أسمعُ صوته

حسنة ـ (فى حرج وقلق وتوتر) مولاتى تصحو .. هيا ياشهبندر ..

شهبندر ـ (يهمس إليها) هل آتى عند الظهر ؟

حسنة ـ (تومىء موافقه) هيّا .. هيّا .. (يخرج شهبندر)

الأميرة ـ (وهى تنظر من النافذة)

ها هو يهبطُ كالأمل الهائم
يَغْشى وجهَ الصُّبْح الحالم

حسنة ـ (تتجه إليها) صباحَ الخَيْرِ مولاتى

الأميرة ـ صمتاً صمتاً .
فالآن سنسمعُ ألحانَه
(عزفُ ناىٍ بعيدٍ يتلاشى رويداً)
ها هو ذا
أسَمِعْتِ النّاىَ الرّبّانى

حسنة — بَلْ كانَ غِنَاءَ الكروانِ

الأميرة — كان حبيبى يُنْشِدُ للصُّبحِ المُشْرِقْ

حسنة — مولاتى تَحْلُمْ . .

الأميرة — بل أسمعُ وأرى مِثْلَكْ

حسنة — مولاتْى تتخَيَّلُ مَالاَ يوجدُ فى دنيانا

الأميرة — مع أوَّلِ خَيْطٍ فى الفَجْرِ الفِضِّىّ

ألمحُ فارِسِىَ المِغْوار

مُمْتَطِياً مَتْنَ جَوَادِهْ

وَبِيَدِهِ سيفٌ بَتَّارْ

تُومِضُ عيناهُ ببرقِ الحُبّ

وَبِجَنْبَيْهِ قلبٌ فَوَّارْ

حسنة — (ساخرة) يتنزهُ — بِسَلاَمَتِهِ — فى الفَجْرِيَّةْ ؟

الأميرة — فى غَبَشِ الصُّبْحِ يطوفُ حبيبى بالآفاقْ

يَنْسِجُ من نُورِ الشَّمْسِ الأشْعار

يَجْمعُ من فَوقِ الكَلأِ اللُّؤْلُؤْ

ومن البستان رحيق الأزهار !

وعلى كُلِّ جبينٍ ينثرُ حَبَّاتِ العَرَقِ السَّاخِنْ

كَىْ تورقَ فى الوادى الأشْجارْ

حسنة — مولاتى تحيا فى زَمَنٍ وَلَّى . .

لا يوجدُ فى دنيانا فرسانُ الأشْعار

الأميرة — بل هُمْ فى كُلِّ مكان . .

وحبيبى يتخفى عن عَيْنِ الزَّمنِ الغدَّارْ
يَتَدَلَّى حيناً من طَرْفِ سحابة
أو يخرجُ من دُكَّانِ النَّجار !

حسنة — مولاتى لا تعرف فرسان اليوم
(تمثل ضاحكة) فرسانُ اليومِ لهم بأْسٌ جَبَّارْ
يتطايَر من أَعْيُنِهِمْ شَرَرٌ من نارْ

الأميرة — لكنَّ حبيبى مثلُ الماءِ الرَّقْراقْ
دفاقُ الصَّبْوَةِ كالنَّبعِ الجارى
سيالُ الرُّوحِ رحيماً
وعَطُوفاً وَوَفِيّاً وكريماً
مثلُ النِّيلِ المِغْداقْ

حسنة — هيهاتَ إذن ! لَنْ تَجِدِى ذاك الفارس

الأميرة — بل هو موجود
أعرفُه خيراً من نفسى
أعرف عينيه السوداوين
وملامِحَهُ الخَشِنَة
وهو أمامى وورائى
يَتَسَرْبَلُ فى أرديةٍ من نَسْجِ يَدَيْه

حسنة — ماذا ؟ خياطٌ غَلْبَانْ ؟

الأميرة — أو يحملُ سيفاً من صُنْعِ يَدَيْه

حسنة — حدادٌ عَدْمَانْ ؟

الأميرة — أو يصنعَ من خشَبِ الزّانِ أَثَاثاً

حسنة — نجارُ كَحْيَانْ ؟

الأميرة — بل يَتَخفّى كيلا يَعْرِفَه النّاسْ

حسنة — (بخبث) لكنْ مولاتى تَعْرِفُه ؟

الأميرة — أعرِفُه بعلاماتٍ سَبْعْ

حسنة — إحداها فيهِ فَقَطْ .. أم كُلُّ السبعة ؟

الأميرة — كُلُّ السبعة

حسنة — هَلْ لِىَ أَنْ أَعْرِفَهَا

الأميرة — هُوَ مصرىٌّ ياحُسْنة
يتحدّثُ لُغَةَ المصريين
يتزيّا بالزِّىِّ المِصْرِىّ ..

حسنة — كذا كذا ؟ الفارسُ يلبسُ جِلْبَاباً ؟

الأميرة — وغطاءُ الرأسِ الطّاقِيَّةْ

حسنة — أَهُوَ إذَنْ فَلّاحْ ؟

الأميرة — بل من أَهْلِ الصَّنْعَةْ

حسنة — حدادٌ أو خياطٌ أو نَجّارْ ؟

الأميرة — وهو صريحٌ لا يكذِبْ

حسنة — تلك علاماتٌ خمس

الأميرة — أذكرتُ الشّارِبَ واللّحيةْ ؟

حسنة — أَلَهُ لِحْيَةْ ؟

الأميرة — كَلّا فَهْوَ حليقُ اللّحْيَةْ

وَلَهُ فى يَدِهِ اليُمْنى شَامةْ
يَحْسِبُها الجاهلُ نُدْبَةْ
لكنَّ الشّامَةَ من أَثَرِ العَمَلِ الدّائِبْ
وهو إذا أخفاها فى كُمِّهْ
لاحَتْ فى يَدِهِ اليُسْرى

حسنة — مولاتى .. هذا لُغْزُ الأَلْغَازْ
كَمْ قُلْتِ الفارسَ والشَّهْمَ المِغْوار
والآن تقولين الحائكَ والنَّجّارْ ؟
هل نبحثُ عن فارسِكِ المُعْلَمِ
فى الأَسْوَاقِ وفى الحارات ؟

الأميرة — بل سوف يأتينى هنا ..

حسنة — فى القَصْرِ ؟ مُحَالٌ مولاتى

الأميرة — يأتينى فى موعدِهِ لا يتأخرْ

حسنة — مولاتى جُنَّتْ .. جُنَّتْ مولاتى !

الأميرة — بل وَصَلَ الآنْ

(يدخل حارس — يتردد ثم يحادث حسنه)

الحارس ـ نَجّارٌ بالبابِ يريُد لِقَاءَ الحاكمِ

حسنة ـ (تفيق فجأة) نَجّارٌ طَبْعاً .. أَدْخِلْه إلى الإيوانْ ..

الأميرة ـ وَصَلَ حبيبى !

إظـــلام

المشهد الثالث

(قصر السلطان وهو مجتمع بالأمراء والحاشية)

السلطان — وهكذا تَرَوْنَ أننا جميعاً قد نواجهُ الهلاك
وقد قضت مشيئةُ الرّحمٰن أن نكونَ كلُّنا هنا . .
وأن تكونَ أيدينا معاً . .
فإن ما يهدد الديارَ من مطامع التّتَارِ
ليس مقصوراً على فردٍ بعينه
وُرُبما عَلِمْتُمْ بِأَمْرِ ذلك الجاسوس

عز الدين — علمناهُ فورَ وصُولِهِ

سيف الدين ــ علمناه قبل وصوله

علم الدين ــ ومولاىَ سوفَ يعالجُ أمْره

السلطان ــ سألقاه حالاً وأسبر غوره

عز الدين ــ لكنّا لمْ نعرفْ إنْ كانَ رسولاً يبغى السِّلْم
أو كانَ زعيماً يتحفَّزُ للحرْب
أو كان بحقٍ جاسوساً يَتَشَمَّمُ بعضَ الأخبارْ

السلطان ــ هذا ما سوفَ أُكاشِفُكُمْ بِهْ
بعدَ لقاءٍ آنَ أوَانُه . .
أمّا الآنَ فارجو ألّا يتخلّفَ أىُّ أميرْ
عن موعدِه فى الغَدْ . .
فأنا أعددتُ العُدَّةَ وَبثثْتُ عيونى فى كُلِّ مكان
حتى لا يعرفَ أحدٌ مَقْصِدَنا
أرجوكمْ . . أيّا كانَ الجاسوس . .
فَأَنَا أعددتُ له فَخّا
سَيُسَاعِدُنا فى تَحقِيقِ النَّصر
(يغمز السلطان إلى علم الدين ثم يخرج مع
حاشيته الخاصة)

عز الدين ــ قَدَرٌ لا مهربَ منه

سيف الدين ــ (ساخراً) حقاً؟
قد كُتبَ علينا أن نَسمعَ ونُطيعْ ؟

علم الدين ــ لا تقولوا مثلَ هذا . .
نحن في موقع حرب
وخلافاتُ الأشقاءِ تُؤَجَّلْ
سيف الدينــ أخلافاتُ الأشِقَّاءِ تقول ؟
عز الدين ــ هل قضى رَبُّكَ أن نَتَّبِعَهْ ؟
فيكونَ السيدَ الأوحدَ دوماً ونكونَ الحاشِيةَ ؟
علم الدين ــ لم يَقُلْ ذاك أَحَدْ
لكنْ الحالُ عصيبة
وظروفُ الحَرْبِ تقضى بالتَّحَمُّلْ
سيف الدينــ أَفَأَمْضِى خَلْفَهُ كالتابعِ المُنْقادِ لا أدرى إلى أىِّ بَلَدْ ؟
وبقلبى من ضِرَامِ الحَرْبِ جَمْرٌ مُتَّقِدْ
وبرأسى خبرةُ الزَّمَنِ الذى يحيا بأحلام الأَبَدْ ؟
إن لى من صافنِ الخَيْلِ رباطاً ليسَ يحصيهِ العَدَدْ
وأمامى وورائى من جنود الله حشد مستبد
إن لى فضلَ الزعامةِ تَشْهَدانِ بها . . أجيبا . .
علم الدين ــ نحن لا ننكرُ فضلَكْ
لكنْ الحالُ كما قلتُ لكم
وزمامُ المُلْكِ يحتاجُ إليه
سيف الدينــ عندما عُدْنا غَدَاةَ الرَّوْعِ نجتازُ الفَلاَةْ

وَهَبطنا بَطْنَ وادٍ ليس يبدو مُنْتَهَاهْ
هَبَّتِ الرِّيحُ سَمُوماً عاصِفَةْ
تملأُ الوادى فحيحاً ونباحاً وعواءَ
وغداً العِثْيَرُ فى الجَوِّ سحاباتِ سَوَادٍ
تحجبُ الشَّمْسَ كأنَّ الكونَ تاه
زاغتِ الأبصارُ وابيضَّتْ من الخَوْفِ الشِّفَاهْ
وبدا الركبُ شعاباً يذرعُ المَهْمَهَ فى كُلِّ اتجاه
كُلُّهم ينشدُ ما يعصِمُهُ
كُلُّهُمْ يرجو سبيلاً للنَّجَاةْ
وانثنى ذاك المُنَزَّهُ يستجيرُ ويستغيثْ
« أين سيفِ الدين » ؟ صاح
« أين ذاك القائدُ المِغْوارُ أينَ مَضَى الكُمَاةْ ؟ »
لم أزلْ أذكرُ صوتَه
ضارعاً بل ذاهلاً بل غافلاً عَمَّا عَدَاهْ
وأنا فوقَ جَوَادٍ قد تَبَهْنَسْ
يألَفُ الظُّلْمَةَ بالأهوالِ يأْنَسْ
سَلْ عُيُونَ المُهْرِ كيفَ وجدتِ صاحِبَنَا المؤله
سَلْ ذِراعى كيفَ شَدَّتْهُ وألْقَتْهُ على سَرْجِى ذَليلاً
يتأوَّهْ
« جئتَ سيفَ الدين » ؟ صاح
« عَسْكَرِى ياسَيْفُ طارتْ فى الرِّياح

« آه يَاسيفُ رعاكَ الله للإسلامِ . . ذُخراً . . وَبَكى
ذلكَ الحاكمُ ربُّ السَّيْفِ
فاضَ الدَّمْعُ من عينيهِ كالطفلِ الصَّغِير
لم أُغافلْ صاحبَ العَيْنَ الهَتُونْ
بل نَفَخْتُ البوقَ واجتزتُ الكَتَائِبْ
حاملاً إياه خلفى بينما صاحَ النَّفِيرْ
اتْبَعُوا سيفاً إلى حيثُ يسيرْ
وَنَجَوْنــا . .

علم الدين ـ قد عَلِمْنا نُبْلَكَ المَشْهودَ ياسيفُ غداةَ الرَّوْع
عز الدين ـ وَعَلِمْنا كم بكى القائدُ رُعْباً

علم الدين ـ وعَرَفْنا كيفَ اخفيتَ عن الرُّكْبِ دُمُوعَه
لكنْ الأَعْداءُ لابُدَّ لهم من موقعة
وسيوفُ اليومِ ياسيفُ تريدُ القائدَ المَاكِرْ

عز الدين ـ (ساخراً) ذارِفُ الدمعِ الغزيرْ ؟
علم الدين ـ صاحبُ الفكرِ العميقِ الدَّاهية

سيف الدين ـ وهل سينتصى الأفكارَ حتى يَهْزِمَ التَّتار ؟
يا صاحبىَّ نحنُ قومُ بأسٍ تارِزٍ شديدْ
والسيفُ عندنا هو العَقْلُ المُرَجَّحُ والمُرَجَّى
علم الدين ـ بل إن سيفَنا لابدَّ أَنْ يكونَ المكرَ والدَّهَاءْ

وَمَناطُ عِلْمى أنه سيخادِعُ التّتار اليومَ أو غَداً
أمّا شِراكُه فالوعدُ بالسَّلامْ . .
عز الدين — تقصدُ أنْ يقبلَ شَرْطَ الهُدْنة ؟
يتزوجُ بنتَ التّترِىِّ الكَافِرْ ؟
علم الدين — يا عزَّ الدين تَمَهّلْ . . واسمعنى يا سيفَ الدِّينْ
هذا الجاسوسُ هو القائدُ صِمْغَارْ !
سيف الدين — صِمْغارُ ؟ . . مُحَالٌ يا عَلَمَ الدينْ !
علم الدين — بل صِمْغارٌ ولدينا البُرهان
عز الدين — ماذا يفعلُ فى قصرِ السُّلْطَانْ ؟
علم الدين — هذا ما سوفَ نَرَى
والواقعُ أنى أرجو أن تتمهلَ ياسيفَ الدِّين
حتى يكشفَ مولانا السُّلطان
عن سِرِّ الجاسوسِ التّترى
سيف الدين — كلّا يا أصْحَابْ
قد بَيَّتُّ العَزْمَ و . . أَحْنَثَ فى قَسَمِى
لن اتراجعَ فى مَطْلَبِىَ العادِلْ
إنّى أشجَعُ من قادَ جُيُوشَ الله إلى النَّصْر
وبذلك أصبحُ أصْلَحَ من يحكم مِصْر !
عز الدين — وَأنَا لَنْ أنْقادَ إلى السُّلْطَانِ البَكّاءْ
وَسَأُخْلِفُ موعدَنا فى الغَدْ

علم الدين ـ أرجوكُمَا تَمَهَّلاً
لَرُبَّما لَمْ يُرْضِنَا هذا
لربما لابدّ من مقاتلٍ صنْديد
ليثٍ كسيفِ الدين يرهبُ الزّمانْ
لكنَّ أحوالَ التّتارِ تقتضى الدَّهَاءْ
وليسَ مثلَ هذا الحاكمِ الفذُّ الذّكىّ قائدٌ
يَصُدُّ صَوْلَةَ التّتارْ
عز الدين ـ استودعك الله

(يخرج مع الحاشية)

سيف الدين ـ أَنَا أَقْدَرُ مَنْ يَحْكُمْ . . وَسَتَسْمَعُ حُكْمى بَعْدَ قَلِيلْ

(يخرج مع الحاشية)

علم الدين ـ (وحــده)
زَمَنُ الفُرْقَةِ والأَحْقَادْ
التّتَرُ على أبوابِ بلادِ الله ونحنُ شَتَاتٌ نَتَنَاحَرْ !
هذا السلطانُ ولا شكٌّ ضعيفْ

(يضحك ويضرب كفا بكف)

لكنْ لمْ أشهدْ من هو أمكرُمِنْه
وهو يخافُ على دينِ الإسْلام

(يهمس)

ويخافُ على عَرْشِهْ
إن عَاضَدْنَاهُ قَهرْنا التّتَرَ وفُزْنا (يتردد)

فُزْنا ؟ سأظَلُّ أميراً يحلُم بالمُلْك
ويظَلُّ كبيراً . . بل قد تعلو هامتُه وَتَسْمُو
وإذَنْ لَنْ يَجْرُؤَ أحدٌ حينئذٍ أنْ يَفْتَحَ فَاهْ
سيسانده كلُّ مماليكِ الدَّوْلَةِ والنّاسْ
سيكونُ الظَّافِرَ ذا القَدْرِ الأَسْمَى
حافظَ دينِ الله وحامى أرض الله
كلَّا ! هذا أمرٌ يحتاجُ إلى التَّدْبِيرْ
آهٍ ياعلمَ الدِّين ! ماذا تفعلُ بعد أنْ استَخْلَفَكَ
السُّلْطانْ ؟
أتخونُ القَسَمَ وتَنْكُثُ بالعَهْد ؟
تَنْكُصُ فى يومِ الحرْبِ على عَقِبَيْكْ ؟
أم تَسْمَحُ لِمُنَاوِىء هذا السلطان . .
سيفِ الدّين القشقار . .
أو للباغى عز الدين الكرجى
أن يَسْلُبَكَ المَجْد ؟
اضرِبْ ضربَتَكَ الآنَ إذا كنتَ خَلِيقاً بالمَجْد
(تدخل غازية متخفية ثم تلقى الخمار وهى تقف خلفه ـ حين يراها يصعق)

غازية ـ هل تذكُرُنى يا عَلَمَ الدين ؟

علم الدين ـ (مذعوراً دَهِشاً) أهلاً بابنةِ عَمّى . . كيف أتَيْتِ ؟

غازية ـ تَدْهَشُ كيفَ تركتُ السجن ؟
(تضحك)
ابنةُ عَمِّكَ واسعةُ الحِيلَةْ .
علم الدين ـ (مرتبكاً) لم أعلمْ أنكِ فى السِّجْن .
غازية ـ شَغَلَتْكَ الحَرْبُ .. نَسِيتْ ؟
حتى من تدعوها ابنَةَ عَمِّكْ ؟
علم الدين ـ (جانباً) أَتُرى تعرِفُ أنى المَسْئُولْ ؟
(إليها) لَمْ أَعْلَمْ .. إنِّى لَمْ أَعْلَمْ .
غازية ـ أَلَسْتَ غاضباً لأننى تركتُ مَحْبِسِى ..
عصيتُ أَمْرَ الحاكمِ الكَبِيرِ !
علم الدين ـ وما الذى ألقاكِ فى السِّجن إذن ؟

ماذا فَعَلْتِ ماذا قُلْتِ ؟
غازية ـ لم يَعُدْ ذاك يُهِمّ ..
فأنا الآنَ هُنا ..
علم الدين ـ لم يَقُلْ لى أحدُ شيئاً .
غازية ـ أكرمونى فى غَيَابَةِ السُّجُونْ .
حَرَمُونى مِنْ صَحَائِفِى القَلِيلة .
كيفَ أحيَا يا عَلَمْ .. دونَ صَحَائِفْ ؟
علم الدين ـ (فى ذعر لأنه يشك أنها تعرف أنه المسئول) .
من يا تُرى المسئولُ عن هذا ؟

غازية — بل لا تَلُمْ أَحَداً لأنّ الوقتَ فَاتْ .
وأنا عزمتُ على الرَّحِيلْ .
علم الدين — (يضحك) وأين ترحلين غَازِيَةْ ؟
غازية — لا تَسَلِ الهاربَ أينَ يُوَلِّى .
فأنا أبحثُ عن مَعْنىً للغَدْ .

علم الدين — الغَدُ يُشْرِقُ بالوَعْدِ الصَّادِقِ لَكْ !
لا أعرِفُ ماذا أَغْضَبَ مِنْكِ الحَاكِمْ .
لكنَّكِ مرجِعُنا فى العِلْمِ وفى الحِكْمَةْ .
وَغَداً تسمو بك حكمتُكِ وتَعْلُو .
الغَدُ يا ابنةَ عَمِّى —

غازية — الغَدُ كالأَمْسِ وكالحَاضِرْ .
حَبَّاتٌ فى عِقْدٍ منظومْ .
حَلْقَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ تتكرَّرْ .
والمَحْبِسُ فى السِّجْنِ أخفُّ من المَحْبِسِ فى القصر .
فالشعراءُ تقول كلاماً لا يتغيرْ .
والأرضُ تَئِنُّ بظُلْمِ الحُكَّامِ وأخبارِ الحَرْبِ الكَذَّابَةْ .
علم الدين — مَهْلاً مَهْلاً . .
لا تَنْسَىْ أنكِ أَنْتِ من الحُكَّامْ .

غازية — هل تعرفُ مَنْ غازيةُ إذنْ ؟
هل تَشْهدُ أنك تَعْلَمُ هذا عِلْمَ يَقِينْ ؟

علم الدين — أوَ لَسْتِ ابنةَ عمى حقاً ؟
غازية — هل تُقْسِمُ يا علمُ على هذا ؟
علم الدين — (مضطرباً) أقسمُ يا غازيةُ بلا شكٍّ .
غازية — وبأنّا أحفادُ الباشْقَرْدِى ؟

علم الدين — (منفجراً) ما شأنُك بالأنسابِ اليَوْم ؟
هل هذا أفضلُ وقتٍ لمناقشة سُلاَلاَتِ الحُكّامْ ؟
أفَلاَ تَدْرِين بأنَّ التَّتَرَ على الأبواب .
وبأنَّ الجَاسوسَ المدسوسَ علينا قائدُهم صِمْغار ؟
غازية — تعلمُ أنّى أعلمْ .
بل تعلمُ أنَّ مظاهرةَ الحَرْبِ المَكشوفة
والتَّترَ وفَخَّ الجاسوسِ وإلقائى فى السِّجْن
أعراضٌ للمرضِ الكامنِ فى جسدِ الدولة !
وأنا أرحلُ بجنودِى وعتادى كى أَنْجُوَ من هذا
المَرضِ القَاتِلْ !
أنسيتَ بأنّا كُنّا قد عَاهَدْنا الله على انقاذِ الوادى ؟
ولعلَّكَ تذكُرُ أَيْمَاناً لا تقبلُ حِنْثاً
أنْ نَتَفَانى كىْ تنجوَ مصرُ وينجو الناسْ !
لا تَدْفَعْ بالنِّسْيان فإنَّكَ لم تَنْسَ ولم تَغْفَلْ .

لكنْ شَغَلَتْك أُمورُ السُّلْطَةِ عن فَقْرِ الفُقَرَاءِ
وجُوعِ الجَوْعَى ونِدَاءَاتِ المَحْرُومِينْ .

علم الدين ـ أعلمُ يا غازيةُ ولا أجهلْ . .

غازية ـ تعلمُ بفَدَاحَةِ ما يتهددُ أهلَ النيلِ البُسَطاءْ .
قد حَمَّلْناهُمْ ما يَقْصرُ عنهُ ألفُ مُقَطَّمْ .
فى الشارعِ يمشى ألفُ مُهَدَّمْ .
الزارعُ لا يجدُ بذورهْ . . والحاصِدُ لا يجدُ المِنْجَلْ .
إن دامَ الحالُ شُهوراً لنْ يجدَ النَّاسُ بمصرٍ ثَمَنَ القُوت .
أَتُرى غابتْ عن فِطْنَتِكَ عواقبُ ما يفعلُ ذاك السُّلْطَانْ ؟

علم الدين ـ (فى حرج) إنى نائبُه يا غازيةُ ويُحْزِنُنى ما آلَ إليه الحَالْ .
وَأَنَا مازلتُ على عَهْدِكِ بى . .

غازية ـ بل أصبحتَ كبيراً تنظرُ من فَوْقْ . .

علم الدين ـ لم أتنكَّرْ يا غازيةُ لشىءْ .
لكنَّ شئونَ الحَرْبِ . . كما تَدْرِينْ . .

غازية ـ الحربُ الحربُ الحربْ ؟ الحربُ لِصَالحِ من ؟
وَلِمَنْ ؟

للظَّالمِ والغَاشِمِ والأَجْنَادِ وللأَتْبَاعِ المُرتَزِقَةْ ؟
إنْ كان بهذا الوادى خطرٌ يتهدَّدُهُ فَهْوَ هُنا . .
الخطرُ هنا يا علمَ الدِّين . . لا فى أنطاكيه . .
أو فى بَرِّ الشام !
هذا السلطانُ الجاهلُ لا يملكُ إلَّا المَكْر .
بَدَأَ الرِّحْلَةَ بِخِداعِ النَّاسِ وأَنْهَاهَا بِخِدَاعِ النَّفْس .
يَحْكُونَ عن الأَهْوَالِ وعن عَوْدَتِهِمْ بالنَّصْر .
النَّصْرُ على مَنْ يا عَلَمَ الدِّين ؟
هل حاربْتُمْ أَحَداً منذ سِنِين ؟
تلكَ الغَزَوَاتُ المَلْعُونَةُ فى أَرْضِ الرُّومْ . .
هل هى ما يَعْنِيهِ دَرْءُ الخَطَرِ الأكبرْ ؟
هل حرَّرْتُمْ أرضاً أو دافَعْتُمْ عن دِينِ الله ؟
كَلَّا . . بل عُدْتُمْ بالأسلابِ رقيقاً وإماءً ومَغَانِمْ .
مِثْلَ لُصوصِ البَرِّ . .
وقَرَاصِنَةِ البَحْرِ !

علم الدين ــ لكنَّا نُرْهِبُهُمْ ونُخَوِّفُهُمْ . .

غازية ــ حُجَجٌ واهيةٌ خَرْقَاءُ .
(فى رقة) أَنَسِيتَ حديثَ النَّفْسِ الصَّادِقَةِ على
الشُّرْفَةْ ؟
أنسيتَ تَنَاجِينَا مُنْذُ انحَرَفَ السُّلْطَانْ ؟

علم الدين — لَمْ أَنْسَ كلامَكِ يا غازيةُ ولم أَنْسَ كلامى لكنْ —
غازية — لكنْ ماذا ؟ حَبْسى أنساكَ الحَقّ ؟
هل كنتُ ضميراً ألقيتَ به فى قَاعِ الجُبّ ؟
كلّا يا علمَ الدّين !
إنا نَمْتَصُّ دِمَاءَ النّاسِ وقُوتَهُمُو باسْمِ الحَرْب .
نُلْهِيهِمْ بالأخْبارِ الزّائِفَةِ عن النّصْر .
حتى نأخذَ ما فى أيديهم .
بل ما يَحْيَوْنَ به ويعيشون عَلَيْه .

علم الدين — أعلمُ أن السلطانَ يغالى فى أخبار النصر .
لكنّ التّتَرَ هناك . .
عند تُخومِ الوَطَنِ الغَالى .
غازية — الوطنُ الغالى للأمراءِ ومن يملِكُهُ مِنْكُمْ !
ماذا تعرف عن هذا الوطن الغالى يا علم الدين ؟
هل مِصْرٌ وطنُكْ ؟ أتحاربُ كى تحمىَ وطَنَكْ ؟

علم الدين — نحنُ سواءٌ يا غازيةُ فى هذا .
يجمعنا الماضى والحاضر .
ماضى الغُربةِ فى أطرافِ الأرضِ
وحاضِرُ مَجْدٍ نِلْناه بأيدينا !
ونُطِلُّ على المُسْتَقْبَلِ بالحُبِّ الزّاخِرِ
والأملِ المَعْقودِ بِمَبْسِمِكِ الآسِرْ !

فأنا صاحِبُكِ وخِدْنُكْ .
وابنةُ عمِّى من لحمى ودمى !
غازية — لستُ ابنةَ عَمِّكَ يا خِدْنَ الأوهامْ !
علم الدين — كُفِّى عن هذا اللَّغْوِ حبيبةَ قَلْبِى !

غازية — لستُ ابنةَ عَمِّكَ يا عَلَمَ الدِّين
فأنا مصريَّة !
أُمِّى ماتتْ يومَ رأيتُ الدُّنْيا
لَمْ أَرَهَا !
وأبى مصرىٌّ لا أعرِفُهُ
لكنِّى أذكُرُ يومَ استُشْهِدْ .
لم تبرحْ ذِهْنِىَ ذكرى اليومِ الأسودْ .
يوم تلقَّاهُ الجلادُ بسيفِ السلطان الأمردْ .
حين تجاسرَ واعترضَ على حُكْمِ غُلَامٍ
لم يَرْعَ حُدُودَ الله .
أما عمُّك فرآنى وحدى أبكى فَقْدَ الأبْ .
أتَلَفَّتُ حَيْرى ذاهلةً لا أدرى أينَ طريقى
فى دنيا تَشْغَلُها أشعارُ الحَرْب !
كان أميراً ذا خُلُقٍ سامٍ
أَحْزَنَهُ موتُ برىءٍ لم يُذْنِبْ
ورأى فىَّ رجاحةَ عَقْلٍ فرعانى

وَتَبَنّانى وسقانى العلم !
أخفى عن سائرِ أهلِ القَصْرِ السِّرّ
وحبانى عَطْفاً وحناناً فى فَجْرِ العُمْر
إذ أَطْلَعَنى وأرانى ما دُنْياكُمْ
دنيا القلعةِ والحرسِ الساهرِ والأجنادْ
دنيا القُوَّةِ والأحقادْ
وأرانى أيضاً ما دنيانا خارجَ أسوارِ الحُكْم
بين سواعدِ أهلِ الصَّنْعَةْ
وشَهَامَةِ أهلِ الصَّنْعَةْ
فَعَشِقْتُ الحَدَّادينَ وَرُمْتُ النَّجَّارِينَ
وخالَطْتُ الخياطين وَطُفْتُ مع السقائين .
(تضحك) حتى وأنا فى سجن الكتب هنا !
علم الدين ـ لكنّكِ بنتُ الباشقردى .
عمى أخبرنى بلِ أَكَّدَ لى .. (يتردد) .
وأنا .. أقصد أنِّى . . .
غازية ـ (فى لهجة مرحة) لم تَكُ تعرفُ أنى أصلحُ لَكْ ؟
وأنا حررتك من وعدك . .
وسأمضى لسبيلى فلدىَّ همومٌ أخرى .
علم الدين ـ مُحَالٌ يا ابنَةَ العَمِّ الكريمة . .
فأنتِ المرجعُ الموثوقُ فينا
وانت ملاذُنا عند الخُطوب !

غازية — لا أقبل دَوْرَ العَرَّافَةْ !

علم الدين — (الواضح أنه غير مخلص) .
بل أنت النجمُ الهادى فى صحراءِ الزَّمَنِ التَّائِهْ .
إذ نَنْهَلُ من عِلْمِكِ من حِكْمَتِكِ
وَنَسْتَرْشِدُ بالرأىِ الصَّائِبِ من شَفَتَيْك .

غازية — بل إنى امرأةٌ من هذا الشعب !
ولهذا أتخلّى عن تَرَفِ القَصْرِ .
يكفينى ما أعرفُ عن قانون الغَابْ .
وخِداعى بوعودٍ وعُهودٍ مكذوبة .

علم الدين — أنا لم أَخْدَعْكِ بشىء لا أعنيه . .
قَدَّمْتُ فؤادى لك منذ صِباىَ الباكر .
لم أَعْشَقْ غيرَك . . ومحالٌ أن أنشدَ أُخرى .

غازية — بل إنى راحلةٌ يا عَلَمَ الدِّين . .
أصدرت الأمر إلى أجنادى ومماليكى .
(تضحك) يا سخرية الأقدار !
مصرىٌّ يملكُ مملوكاً .

علم الدين — غازيةُ أنا مملوكٌ وبيدكِ زمامى . .
إنْ أَمَرَتْ غازيةُ بشىء كانْ . .
ما مطلبُ غازيةَ اليَوْم . .
ما مَهْرُ حبيبةِ قلبى ؟

غازية ــ لا أطلب إلا ما وَعَدَتْ شفتاك بهِ يَوْماً .
وتلاقينا عنده ــ (صمت متوتر) .
أنْ نخلعَ هذا السلطانَ الجائر .
علم الدين ــ نخلعُه حقاً ! ما أيسره من مهر ! (يضحك ضحكة زائفة) .
غازية ــ وَنُنَحِّي الحاشيةَ الملعونةَ ونصارحُ أبناءَ الشعب .
علم الدين ــ وَنُنَحِّيها ونصارحُ أبناءَ الشعب !
غازية ــ هذا وعدٌ صادق ؟
علم الدين ــ هذا وعدُ حبيبٍ يبغى أن يتزوجْ .
غازية ــ (تضحك) نتزوج يا ابن العم ! (يتعانقان) .

اظــــلام

المشهد الرابع

(نفس المنظر ـ يدخل السلطان والحاشية ومن ورائهم محمود النجار فى صحبة حارسين) .

السلطان ـ (إلى الحراس) دَعُونا وحدَنَا ! هيَّا !

(ينصرف الحراس)

تعالَ ولا تَخَفْ صِمْغَارْ !

محمود ـ صِمْغَارْ ؟

السلطان ـ (يضحك) لَمْ تَسْمَعْ إسْمَكَ من قَبْلْ ؟

محمود ـ اسمى محمودٌ يا مولاى !

السلطان ـ أمّا صِمْغارُ التّترىُّ فلا تَعْرِفُه يا .. محمود ؟

محمود — إنى نَجّارٌ من حَىِّ القلعة .
مصرىٌّ من أهلِ الصَّنْعَةْ .
وَطَلَبْتُ لقاءَ السلطانِ لِكَىْ —

السلطان — (يضحك) تطلبَ بعضَ الأخشاب ؟

محمود — مولاى حصيفٌ لا تخفى الأشياءُ عليه .
وهو كريمٌ لن يبخلَ بالأخشابِ على نَجّارٍ مسكين !

السلطان — إنى أكرهُ هذى اللُّعْبَةَ يا صِمْغَارْ !
لكنْ مادمتَ تُصِرُّ فَلاَ بأسْ .
لِتَكُنْ محموداً مادُمْتَ تُحِبُّ الأسماءَ العَرَبِيَّةْ .

محمود — مولاىَ لَدَيْكُمْ فى حُوشِ القَصْرِ الأكْبَرِ
أخشابُ السَّرْوِ الشَّامِيَّةْ .
ألواحٌ لا حصرَ لها . . تَنْفَعُ لجهازٍ عَلِيَّةْ .

السلطان — (يضحك ضحكاً شديداً) تنفع . . لجهاز علية ؟
ما أعجبَ ما تتقنُ لَهْجَتَنَا المِصْرِيَّةْ .

محمود — إن سَمَحَ الحاكمُ لى منه . . بقليلٍ

السلطان — فستصنعُ فُرُشاً تُركيَّة ؟

محمود — القومُ لدينا ينتظرون رُجُوعى . .
ويريدون نتيجة مسعاى . .
ينتظرونَ الأخبارْ .

السلطان — حقاً ؟ القومُ لديكمْ ؟ (فرحاً) .

يتنظرون الأخبارْ ؟
(يضحك) ستوافيهمْ بالأخبارْ !
هَيَّا .. اقبلْ .. سأكاشِفُكَ بِفِكْرِى الآنْ !
أنا أعرفُ كم يشتاقُ « القومُ لديكم » للسِّلْم !
كَمْ يَكْرَهُ كُلُّ «القوم لديكمْ» أهوالَ الحَرْبْ .

محمود — أنا لا أجدُ الأَخْشَابْ .
وَعُبَيْدٌ لا يجدُ مُعِدَّاتِ التَّطْرِيزْ .
أما فَرَجُ الحَدَّادْ ..

السلطان — (مقاطعاً) أَلَدَيْكُمْ خياطونَ وحدَّادونْ ؟
(يضحك) طَبْعاً طبعاً .
إذ كيفَ تُعِدُّونَ دُرُوعَكمو وسُيُوفَكُمُو ؟
لكنْ أَبْشِرْ .. قد آن أوانُ السِّلْم .

محمود — ألن تحاربوا التَّتَارَ بعدَ اليَوْم ؟

السلطان — اسمعْ يا صِمْغَارْ ..

محمود — اسمى محمود .

السلطان — لِيَكُنْ يا أُسْطَى مَحْمود .
أنا لا أبغى إلا السِّلْم .
لا اقبلُ أن يُسْفَكَ دَمُ أبناءِ بلادى عَبَثاً .
لا أرضى لَهُمُ المَوْتَ بلا مَعْنىً ..
تلك الأهوالُ المُتَوَالِيَةُ البَلْهَاءْ .
ما معناها ؟

لا أُخفِى عَنْكَ فداحةَ حُزْنى لِفَدَاحَةِ ما حَلَّ بِنَا .

محمود — تَقْصِدُ فى آخِرِ غَزْوَةٍ ؟
أوآخِرِ مَوْقعةٍ فى الشَّام ؟
السلطان — قد لا تعلمُ أنَّا أَخْفَينا الكارثةَ عن النَّاسْ .
أَوْهَمْنَاهُمْ أنَّا أَحْرَزْنا النَّصْر .
محمود — وَبَعَثْتُمْ شاعرَكمْ يتغنَّى بالأمجادِ الموهومة .
أعلم ذلك . . بل قلتُ لهمْ ذلك .
السلطان — (منزعجاً) قلتَ لمن ؟
محمود — للقوم لدينا . . فرج وعبيد . .
السلطان — (يضحك) آه . . فرج وعبيد . . لا بأس . .

محمود — إخفاءُ النَّكْسَةِ بعدَ النكسة . .
السلطان — لا قِبَلَ لَنَا بِتتَارٍ دَيْدَنُهُمْ طعنٌ ودمار .
نَبَغُوا فى فَنِّ الحَرْبِ وبلغوا الغايةَ فى الوَحْشِيَّةْ .
(يهمس) وَلَدَيْهِمْ أسلحةٌ سِرِّيةْ .
تعرفُ ما أعنى . .
أشياءٌ تتفجَّرُ فى أسوار المُدِنِ الشُّمَّاءْ .
فَتُدَمِّرُها . . تجعلُ عالِيَها سافِلَها .
محمود — أَتُرَاكَ تعنى المَنْجَنِيقَ إذنْ ؟
السلطان — بَلْ إنَّ للتَّتارِ من سلاحِ البَرِّ ما لم نَعْهَدِ .

وَهُمْ عُتَاةٌ بارعونَ سَفَّاكُونَ لِلدِّمَاءِ .

محمود ـ لكِنَّكُمو أَهْلُ ضَرَاوَةْ . .
وَتَمَرَّسْتُمْ منذُ الصِّغَرِ بكُلِّ فُنونِ الحَرْب .
وَحَذِقْتُمْ ألوانَ الضَّرْب .
أَحْكَمْتُمْ فَنَّ الكَرِّ وقَذْفَ الرُّمح .
لَوْ صَدَقَ العَزْمُ لَدَيْكُمْ وتَوَحَّدْتُمْ صَفًّا لَسَحَقْتُوهُمْ .
وإذَنْ لا قِبَلَ لِجَيْشِ التَّتَرِ بِكُمْ .

السلطان ـ (يتصور أن الجاسوس يراوغ) بل لا قِبَلَ لأهلِ البَرِّ بِهِمْ .

محمود ـ أهلُ البَرِّ؟ ما شأنُ التَّتَرِ بأهلِ البَرِّ؟
أَوَ لَسْتُمْ أنتمْ من يَحْمِى البَرَّ؟

السلطان ـ إنكَ لَمْ تَفْهَمْ قَصْدى .
الحربُ جهازٌ بَشَرِىٌّ يمتصُّ جهوداً بَشَرِيَّة .

محمود ـ لا أُدرِكُ مَرْمَاكَ .

السلطان ـ هَلْ تعرِفُ كم يَتَكَلَّفُ رجلٌ واحدْ .
كىْ يُصبحَ جُنديًّا فى جَيْشِ السُّلْطان ؟
آلافَ الدينارات !
هل تعرفُ من يَدْفَعُها ؟
أهلُ النِّيلِ البُسَطَاءُ !
نفقاتُ الحَرْبِ الباهِظَةِ الخَرْقَاءْ

تُثْقِلُ كاهلَ أبناءِ الوَادِى .
وأنا لا أَقْبَلُ أنْ أُرهِقَهُمْ .
يكفى ما نِلْناهُ بِشَنِّ الحَملاتِ الرَّعْنَاءْ .
إذ عانى كُلُّ النَّاسِ وعانَيْنا .
بَيْنَا مازالَ التَّتَرُ على الأَبْوابْ .
يَبْغُونَ السِّلْم . . وبِيَدِهِمْ غصنُ الزَّيْتُون .

محمود — هلْ تَعْنى أنَّ السَّعْدَ على الأَبْوابْ ؟ .
وبأنَّ نوايا التَّتر لَدَيْكُمْ معروفة ؟

السلطان (يحاول انتزاع سر من الجاسوس) .
أَوَ لَيْسُو حقاً يبغونَ السِّلم ؟
أعرف أنكَ نَجَّارٌ من حَيِّ القلعةِ يا صِمْغَار .
أقصد يا محمود ! . . لكنَّكَ لابُدَّ عليمٌ بالأسرار .

محمود — أنا لا أعرفُ إلاّ ما تَتَنَاقَلُه الأَخْبار .

السلطان — لكنَّ التَّتَر يريدُونَ السِّلْم . . كما أعلم .

محمود — أنا لا أتصور أنْ التَّتَر سترضى بالشام .

السلطان — لا تتصورْ ؟

محمود — أو تَقْبَلُ أن تَكْتَفِىَ بعكَّا أو حيفا .
وأما مَهُمُو يمتدُّ النِّيل .

السلطان — لكِنَّهُمُو قد عَرَضُوا السِّلْم !

محمود — السِّلمُ بأىِّ شُروطٍ يا مولاى ؟

أَفَلَا تخشى أن تمتدَّ مطامِعُهُمْ للنّيل ؟
فى ظنّى . . (يتردد) هذا ظنٌّ ولقد يخطىءُ
ظنىٌّ . . .

(يتوقف عن الحديث)

السلطان ـ (يحثه على الكلام) ظنُّك ماذا ؟ ماذا فى ظنِّكَ
قُلْ !

محمود ـ أنك إن لم تَخْرُجْ يا مولاىَ إلَيْهم . .
جاءوك هنا .

السلطان ـ جاءونى ؟ (يتمالك نفسه وتخطر له فكرة) .
لم لا ؟ قَطْعاً سوف يجيئونَ .
لكنْ كالأصحابِ وكالأحباب .

محمود ـ تقصِد إن أبرمْتَ سلاماً معهُمْ ؟

السلطان ـ بل إن صاهرتُ مليكَهُمُ الأكبر . .
أو حينَ أصاهِرُه إن شاء الله .

محمود ـ أتُصَاهِرُ مَلِكَ التَّتَرِ الأكبرِ حَقاً يا مولاى ؟
عجباً لم أسمعْ عَنْ هذا من قبل .

السلطان ـ ما رَأْيُكَ فيه إذنْ ؟

محمود ـ رأيى لا قِيمَةَ له . .
فأنا نَجّارٌ لا تَعْنِينى إلا الأخْشَابْ .

السلطان ـ صَدَّقْتُكَ قُلنا ! . . لكن كيفَ ترى الفِكْرة ؟

محمود — أخشى ألا تَقْدِرَ يا مولاى . .

السلطان — (غاضباً) ألاَّ أقدرْ ؟

محمود — أعنى . . أَفَلاَ تخشى الأعْوان ؟
أفلا تَخْشَى أَلْسِنَةَ النَّاسْ ؟

السلطان — ما شأنُ النّاسِ بما يفعلُهُ السُّلطان ؟
للنَّاسِ هُمُومٌ تشغَلُهُمْ . . مثلُ الأخشاب !
وَلَسَوْفَ تظلُّ هُمومُ النَّاسْ .
ماذا يَعْنيهمْ لو نِلْتُ عَروساً أخرى .
(يهمس) هذا لَوْ عَلِموا أنى نِلْتُ عروساً أخرى .
أمّا الأعوانُ فما يَعْنينى أىُّ الأعْوان .
الكُلُّ يُدَبِّرُ فى صَمْتٍ لهلاكِ الآخر .
والكُلُّ يَشِى لى بالكُلّ .
فالمَغْنَمُ فى مِصْرَ كبير .
والمَالُ السائِبُ يُغْرِى بالسَّرِقَةْ

محمود — أَفَلَنْ يهتمُّوا حقاً ؟
لَنْ يَغْضَبَ رجلٌ أو رجُلان ؟
أَفَلاَ تخشى أن تُعْزَلَ أو تُقْتَلْ ؟

السلطان — العَزْلُ لا أخشاه .
إذ ليسَ فى الدِّيارِ ماكرٌ بمثلِ فِطْنَتِى .
ولستُ فى هذا فريداً .

فكلُّ حاكمٍ فَطِنْ .. وكلُّ حاكمٍ مَكير .

محمود ـ أَوَلَسْتَ تخشى القتل ؟

السلطان ـ يا صاحبى !

لا يُعْزَلُ الحُكَّامُ فى بلادِنا بل يُقْتَلُون .

وكلُّ حاكمٍ يرى فى سَيْفِهِ كَفَنَهْ .

محمود ـ فإن فَشِلْتَ فِى اقْتِنَاءِ هذهِ العَرُوس ؟

السلطان ـ لقد خَطَبْتُها يا صاحبى سِرًّا .

وَدَفعْتُ مَهْرَهَا ..

محمود ـ ثَمَنَ السلامْ ؟

السلطان ـ فَلْيَكُنْ .

محمود ـ لا أدرى ما سَيَقُولُ القَوْمُ إذا عَرَفُوا .

السلطان ـ سَتُفْتَحُ الأبوابُ بيننَا وبينهم .

سَتُعْزَفُ الألحانُ كُلَّ يوم .

وتلتقى موائدُ الأعراسِ عندنا ..

(متردداً ويرمقه بطرف عينه) .

وعندكُمْ .

محمود ـ تعنى سنأخذُ الأخشاب ؟

السلطان ـ (يكون قد نسى أنه نجار) أيةُ أخشابْ ؟

محمود ـ ما جئت أطالبُ به ..

فأنا نجارْ .

السلطان — (مقاطعاً وقد تذكر) من حيِّ القلعة . .
رجلٌ من أهل الصَّنْعة ! .
(يضحك ضحكاً شديداً) .
فلتبلغْ هذا الخَبَرَ إلى قومِكْ .
والدُها يعرفْ . .
لكنَّ الباقينَ يتوقونَ إلى معرفةِ نوايانا .

محمود — لم أكُ أتصوَّرْ !

السلطان — (فى حزم) والآن تصورت ؟
اسمع يا صمغار . . (يضحك) أو يا محمود !
هذا عهدُ سلامٍ أقطعُه ومحالٌ أنْ أُخْلِفْ .
أبْلِغْهُمْ هذا . . والآن سأمضى لشئون الدَّوْلة .
(يخرج السلطان)

محمود — (وحده على المسرح) .
ما معنى هذا الإصرارِ على تسميتى صمغارْ ؟
صمغارٌ اسم تَتَرِىّ .
بل هو من خُلَفَاءِ المَلِكِ الرَّاحلِ هُولاَكُو .
كيف يَظُنُّ بأنى صِمْغارٌ إذن ؟
أفَلَا ينطقُ حالى ؟
أفَلَا يشهدُ أنى مِصْرىّ ؟
كيف اختلطَ الأمرُ على هذا الدَّاهيةِ الأكبر ؟

التفسيرُ الأوحدُ أنّهمو كانوا ينتظرون قُدُومَهْ .
أو أبلغَهَمْ من أبلَغَهُمْ بِتَخَفِّيه .
فى زِىِّ ابنِ البَلَدِ المِصْرِىِّ !
إنْ كانَ كذلكَ فأنا فى خَطَرٍ دَاهِمْ .
إذْ قد يَصِلُ أخونا صِمْغَارْ
فَتَدُورُ الدَّائِرَةُ علىَّ ويُفْصَلُ رَأْسى عن جَسَدِى .
الحلُّ الأَمْثَلُ أن أَخْرُجَ من هذا القَصْر .
فأعودَ إلى فرجٍ وعُبيدْ .

(يهم بالخروج فيفاجأ بالأميرة)

الاميرة — الفارسُ المِغْوار !
محمود — (يتلفت حوله فلا يرى أحداً) .
الاميرة — وعلى يَدِهِ اليُمنى شامه !
محمود — (فى حرج شديد يخفى يده اليمنى) .
الاميرة — إن أخفاها فى كُمِّه . .
ظَهَرَتْ فى يَدِهِ اليُسْرى .
محمود — عَمَّنْ تتحدثُ مولاتى ؟
الاميرة — من مَوْجِ البَحْرِ خَرَجْت .
وعلى الآفاقِ مَشَيْت .
حَتَّى جِئْتَ إلىَّ عَلَى مَوْعِدْ .
محمود — أنا يا مولاتى ؟

الاميرة ـ الفارسُ ذو الصَّوْتِ الصَّادِحِ فى غَبَشِ الصُّبْحِ
حَمَلَتْ أنغامُ النَّاىِ الأنسام .
وَأَتَتْنى بِكَ أطرافُ غَمَامْ .

محمود ـ أنا يا مولاتى نَجَّارٌ من حَىِّ القلعة .
رجلٌ من أهلِ الصَّنْعة .

الاميرة ـ تَتَخفَّى حتى لا يَعْرِفَكَ النَّاسْ .

محمود ـ أبَداً يا مولاتى .. أنا لا اتخفَّى .
بل أنا محمودُ النَّجَّار .

الاميرة ـ أوَ لَمْ تَكْشِفْ لكَ حَبَّاتُ الرَّمْلِ عن القَدَرِ المَكْتوب .
وَرُسُوُّكَ هذا اليوم على شَطِّ المَحْبوب ؟

محمود ـ مولاتى أنا لا اسمعُ إلَّا صوتَ العقل .

الاميرة ـ والعقلُ يقول بأنك جِئْتَ إلىَّ ..
وسَتَمْضى بى من هذا القصر إلى جَنَّةِ أحلامكْ .
إنى أنتَظِرُكَ من سنواتٍ ضَلَّتْ فى بَحْرِ زَمَانِكْ .
واليوم رَسَوْتُ وإيَّاك على شَطِّ رِمَالِكْ .
خُذْنى يا مَحْمودُ وطِرْ بى ..

محمود ـ مولاتى .. أنا لستُ الفارسَ أقسمُ لَكْ ..
بل مهما اشْتَطَّتْ أحلامى .
لا اطمعُ فى مِثْلِ جَمَالِكْ .

الاميرة — بل إنى لك ..

بِجَمالى .. وبِمَالى .. ومَمَالِيكى .

محمود — مولاتى أنا لا أطمعُ إلاّ فى بعضِ الأخشابْ .

الاميرة — أخشابُ العَالَمِ مِلْكُ يَدَيْك .

محمود — لا أبغى إلا أخشابَ العَفْشْ .

الاميرة — عَفْشُ العُرْس ؟ عُرْسى وَزِفَافى لَكْ ؟

لا تَحْمِلْ هَمًّا .. فَلَقَدْ أعددتُ العُدَّةَ ..

وَأَثَاثُ المَنْزِلِ فى قَصْرى عِنْدَ البِرْكَةْ .

محمود — يا مولاتى ! أَقْصِدُ عُرْسَ عليّة .. وَزَكِيَّةْ ..

اقصدُ أعراسَ الشَّعْبْ .

الاميرة — فى يَوْمِ زواجى بك .. سَتُزَوَّجُ كلُّ الفتيات .

وَسَتُفْتَحُ ابوابُ المخزنِ كى يأخذَ كلُّ عريسٍ ما

يبغى .

محمود — من أخشابِ السلطان ؟

الاميرة — هل هذا مَهْرُكَ يا محمود ؟

إنْ كانَ حقيقاً بك ..

أَفْصِحْ عن نفسك .

محمود — يا مولاتى أنا لستُ سوى نَجَّارْ ..

الاميرة — (ساخرة) من حىّ القلعة ؟

رجلٌ من أهل الصَّنعة ؟

محمود — أُقسِمُ —

الاميرة — (مقاطعة) لا تُقْسِمْ .

حتىّ لو كنتَ النَّجّارَ فأَنْتَ نصيبى .

قَدَرِى . . دنيايَ ومَحْيَايَ .

محمود — لكنّ زواجى منكِ مُحَالٌ . .

الهُوَّةُ شاسعةٌ بين النَّجارِ وبنتِ الأُمَرَاءْ ؟

الاميرة — بل لا أعرِفُ معنى الهُوَّةْ .

الهُوةُ يا محمودُ هنا فى هذا القَصْر .

محمود — مولاتى لا يُرْضِيها قصرُ السلطان ؟

الاميرة — أَحْلُمُ بمكانٍ كان أبى يتحدَّثُ عنه .

بستانٌ لا تُسْمَعُ فيه طبولُ الحَرْب .

وَبِلَيْلٍ ساجٍ يَحْلُمُ فيه البَدْر .

وَنَهَارٍ يَزْخَرُ بدبيبِ النَّاسْ .

محمود — حُلْمٌ من أَحْلامِ اليَقظَةْ .

الاميرة — بل هُوَ ما سوفَ نُحَقِّقُهُ يا محمودُ معاً .

(تقبل عليه) لا تعجبْ يا محمودُ فَعِنْدى ما تبغى .

أَنَا مِلْكُ يمينك . . خُذْنى معك إلى الجَنَّةْ .

محمود — يا ليتَ الجَنَّةَ ملكُ يمينى فَأُقَدِّمُها لَكْ .

الاميرة — بل أىُّ مكانٍ يحوينا صِنْوُ الجَنَّةْ .

(تمسكه بحنان فيمسك يدها ويقبلها) .
(يدخل علم الدين وعز الدين وحسنة)

حسنة — (مصعوقة) مولاتى . .
علم الدين — صِمْغَارُ تزوج خاتون !
محمود — (يفيق من استغراقه) اسمُكِ خاتون ؟
الاميرة — بل هو زوجى منذُ زمانٍ يا علمَ الدين !
حسنة — مولاتى هذا جاسوسٌ تترى !
محمود — (مازال فى دهشته) اسمُكِ خاتون ؟
تلاميرة — (تفيق لأول مرة) اسمُكَ صِمْغار ؟
محمود — اسمى محمودُ يا ناسْ !
ومحالٌ أن أُصبِحَ جاسوساً .
إنِّى جئتُ لبعضِ الأخشابِ وَلَمْ أَتَزَوجْ أَحَداً .
الاميرة — تَتَنكَّرُ لزواجى منك ؟
محمود — أَتنكَّرُ كيف ؟ يا للوقعة !
هل حصلَ زواجٌ حتى أُنكِرَهُ ؟ .
علم الدين — إنَّا شاهدْنا .
عز الدين — ورأَيْنا . .
حسنة — وَسَمِعْنا .
محمود — لكننىَ لم أَتزوجْ بعد .
الاميرة — لا تَأْبَهْ يا محمودُ لهم . .

لستُ ابنةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ .
وَسَأَمْضِى معك إلى آخر أَطْرَافِ الدُّنيا . .
هيا . .
(يدخل سيف الدين فيجفل الجميع)

سيف الدين ـ (داخلاً) .
ما هذا الهذرُ عن الجاسوسِ التَّترىّ ؟
(لا أحد يرد)

هل هو هذا المصرىّ ؟
محمود ـ اسمى محمودٌ يا مولاى . .
نَجَّارٌ من حَىِّ القلعة .
رجلٌ من أهلِ الصَّنْعَةْ .
ظَنُّونى جاسوساً ويريدون زواجى من تلكَ المرأة .

سيف الدين ـ تلك المرأةُ يا جاسوسُ سليلةُ عِزٍّ ومكارمْ .
وَأَنَا خَاطِبُها من زَمَنٍ وَدَفَعْتُ المَهْرَ إلى المرحومِ .
والدها السلطانِ الأكرم . .

الأميرة ـ (تحاول الاعتراض) لا . . بل لا . . إنى . .

سيف الدين ـ (صائحاً) صَمْتاً .
(إلى حسنة) هَيَّا يا جاريةُ أَعِدِّى ما يلزم .
فَسَنَمْضى قَبْلَ صَلاَةِ الظُّهر .

حسنة — سَمْعاً يا مولاىَ وطَاعَةْ . .
الاميرة — لكنى —
سيف الدين — صَمْتاً .
هيا يا جاسوسُ بنا . .
قد آن أوانُ حِسَابِكْ .

إظلام

المشهد الخامس

(نفس المنظر ـ تدخل حسنة مع غازية) .

(عندما يُضاء المسرح تكونان فى منتصف الحديث)

حسنة ـ بل إنّى واثقةٌ يا مولاتى .
حبست خاتونُ بِبُرْجِ القَصْر . .
غازية ـ مَنْ أَمَرَ بذلك ؟
حسنة ـ سيفُ الدين . .
غازية ـ عَلَناً ؟
حسنة ـ ماذا تعنين ؟
غازية ـ أعنى هل قال : « بأمرِ السُّلْطان » .

أو « بِاسْمِ الحاكم » . . ؟

حسنة — لا أدرى يا مولاتى .

لكنَّ الحراسَ مَضَوْا بالمسكينةِ دُونَ كَلَامْ .

أَخَذُوها بَدَلاً من جَاسُوسِ التَّتَرِ إلى السِّجْن .

(مترددة) وَلَعَلَّكِ . . أَقْصِدُ . .

غازية — (تضحك) أعرفُ تلكَ الغُرْفَةْ ؟

بَلْ أَعْرِفُها خَيْراً من كُلِّ النُّزَلَاءْ .

مع أنِّى لَمْ أَقْضِ بها إلَّا بضعة أشهر !

واهاً لك يا خاتونُ المِسْكِينَةْ !

هَرَبَتْ منذُ سنينٍ لِخَيَالاتٍ مُلْتَاثَةْ .

بعدَ وفاةِ ،أبيها السُّلْطانْ !

لَمْ تَتَصَوَّرْ أَنْ يَمْضِىَ فى مُنْتَصَفِ العُمرِ

فيتركَها نَهْباً للجَشَعِ وأطماعِ الأُمَرَاءْ .

حسنة — أفلا يهواها سيفُ الدِّين ؟

غازية — يهواها فَيَزُجُّ بها فى السِّجْن ؟

حسنة — بل قال سيأخُذُها مَعَهُ . . أعنى يَتَزَوَّجُها . .

وَتَحَدَّثَ عن مَهْرٍ أعطاهُ أباها قَبْلَ وَفَاتِهْ .

غازية — يتزوجُها ؟ سيفُ الدين القَشْقَارْ ؟

(تضحك فى مرارة) قد كنْتُ أَظُنُّكِ ذاتَ دِرَايَةْ .

حسنة — لكنْ مولاتى لم تَرْضَ وَلَنْ تَرْضَى !

غازية — ماذا تَمْلِكُ خاتون ؟

مولاتك لا حَوْلَ لَهَا ..
زَارَتْنى يَوْماً فى المَحْبِسْ .

حسنة — مولاتى خاتون ؟ .

غازية — كانت شارِدَةَ اللُّبْ ..
تحلمُ بالفارِسِ ذى اللَّونِ الأسمرْ ..
رجلٌ من أهل البَرّ .

حسنة — أعرِفُ يا مولاتى ..
لكن ما شأنُكِ أنت ؟

غازية — ما شأنى حقاً !
يا حُسْنَةْ ! من ألقانى فى السِّجْنِ البارِدِ ألقاها !
لم يَكُنِ الحاكمَ فى أى الحالَيْنْ !
بل أمراءُ الحاكم .. من سَلَبُوهُ السُّلْطَةْ
علمُ الدِّينِ وسيفُ الدِّينِ وغيرهُما ..

حسنة — أعلمُ أشياءَ أُخرى عن علمِ الدين وعَنْكِ ..

غازية — (تضحك) كانَ يَرَى فِىَّ حياته !

حسنة — اقصدُ أنك بنت البشقاردى !

غازية — ابنةُ عَمهْ ؟
حَقاً ؟ قد كانَ يرى فِىَّ الأَمَلَ المَفْقُودْ !
وَتَصَوَّرَ انى ابنةُ عمه !
ولهذا ألقانى فى السجن .. وأنكَرْ !

حسنة — هل هذا لُغزٌ يا مولاتى ؟

غازية — إنىّ يا حُسْنَةُ مثلُكْ ! مِنْ أبناءِ النّاسْ اوَكِلاَنَا يَعْرِفُ
بعضَ الأشياءِ عَنِ الآخرِ !
وقريباً أُفْضِى بالسِّرِّ إليكْ !
وأحابيلُ دَهَاليزِ القَصْرِ الظَّلْماءِ سَتُفْرِخُ هذا اليوم
أَعْـرِفُ كيفَ سَتُفْرِخْ .. بـل وأُحِسُّ بِنَوْعِ
الأَفْرَاخْ !

حسنة — مولاتى شاعرةٌ لا شك !

غازية — بل لا اذكرُ إلاّ ما أعلمُ عِلْمَ يَقِينْ .
(يدخل شهبندر من وراء ظهر غازية بحيث لا تراه
ولكن حسنة تراه) .
وأكادُ أرىَ شَهْبَنْدَرَ يسعى حَتَّى تَمْضِى مَعَهُ .

حسنة — (مقاطعة فى دهشة) شَهْبَنْدَرْ .
(شهبندر يتسمر فى مكانه)

غازية — (تستمر دون التفات) شَغَلَتْهُ أُمُورُ الْبَحْرِ عَنِ
الدُّنْيَا ..
لكنْ لَمْ تَشْغَلْهُ عَنْك .

حسنة — (تشير إليه ان اختبىء) مولاتى تَعْرِفُ كُلَّ
الأَسْرَارْ .

غازية — أَوَ هَذَا سِرٌّ يا حُسْنَةْ ؟

ها هُوَ ذا شَهْبَنْدَرْ (تلتفت إليه وتواجهه) .

شهبندر — (يبلع ريقه) مولاتى .

غازية — احسنتَ بأنْ دَبَّرْتَ الهَربَ اليَوْم .

شهبندر — مولاتى .. ماذا تَحْكِينْ ؟

غازية — لا تَخْشَ ملاماً يا شَهْبَنْدَرْ .
ليسَ لِمِثْلِكُما فى هذا القَصْرِ حَياةْ ..

شهبندر — أنَا حَقّاً أعددتُ العُدَّةْ ..
لكنَّ الحالَ عصيبْ ..
والجاسوسُ التَّتَرِىُّ يُدَبِّرُ لهلاكِ البَرّ .

حسنة — يَقْصِدُ صِمْغَارْ ..

غازية — أعرف من يَعْنى وَلَسَوْفَ أُقابِلُهُ الآن ..
ارجو أن ترحلَ مع حُسْنَةْ .. حتى سُوقِ القَلْعَةْ .
اسأَلْ عن أهلِ الصَّنْعَةْ ..
وَأقِمْ لا تَبْرَحْ حَتّى آتى ..
انتظرا ساعاتٍ معدودة ..
مع بعضِ معارفِىَ الخُلَصَاءْ ..

حسنة — من تقصدُ مولاتى ؟
أنا أعرفُ عَدَداً منهم .
لكنّى لا أدرى إن كان هُنَالِكَ من يَذْكُرُنى .

غازية — فى سوقِ القلعةِ رجلٌ أرْسَلَهُ السلطان .

حتى يَتَحَسَّسَ أخبارَ النّاسْ . .
لم يَعُدِ البارحةَ ولا اليَوْم . .
لا أدرى ماذا حَلَّ بِهِ . .

شهبندر — (فى دهشة) أهو صَدِيقٌ يا مولاتى ؟

غازية — بل أحدُ عُيونِى يا شهبندر .
إنْ جَرَتِ الأحداثُ كما أبغى .
فلسوفَ أوافى السُّوقَ قُبيلَ العَصْر . .
ورجائى أن تَنْتَظِرا مَهْما كانَ الأمرْ . .

حسنة — لكنْ . . مولاتى . . لا أفهم . .

غازية — هيا يا حُسنةُ فالموقفُ لا يحتمل نِقَاشاً . . هيا . .

شهبندر — مولاتى . . هل نُخْبِرُ هذا الجاسوسَ بشىء ؟
أم نسمعُ منه الأخبار ؟

غازية — ما أكثرَ ما تَسألُ يا شهبندرْ .
أفَلَا تصبرُ عِدَّةَ ساعاتْ ؟
هَيَّا . . قلتُ لَكَا !

(يخرج شهبندر من حيث أتى مع حسنة)

غازية — (وحدها على المسرح) .
اليومُ سيشهدُ ما لَمْ يَشْهَدْهُ التاريخْ . .
أعْرِفُ ما يُحْدِقُ بالخُطّةِ من أخْطَارْ .
فَأنَا ألّبْتُ المملوكَيْنِ على السلطانِ

وأَلَّبْتُ السلطانَ على المملوكَيْن .
وَنَسَجْتُ بِمَخْبِىَ المُظْلِمِ أطرافَ الخُطَّة .
دونَ حِسابٍ لوصولِ الجاسوس . .
أو لوُصولِ القائدِ صِمْغار .
لن ينجحَ ثارى من عَلَمِ الدِّين
إلّا إنْ وَقَفَ التَّتَرِىُّ معى .
آهٍ يا غازيةُ لقد آنَ أوانُ الثَّأر .
أتَحَالَفُ فيه مع الشيطان . .
كىْ أَضَعَ نهايَةَ هذا الحُكْمِ الظَّالِمْ .

(يدخل محمود مع حارس)

غازية ــ (ضاحكة بدلال) أهلاً بالمَلِكِ الظَّافِرْ .

محمود ــ مَنْ مولاتى ؟

غازية ــ (إلى الحارس) أُخْرُجْ أنت . . (يخرج الحارس) .
أَقْبِلْ يا مَلِكَ البَرَّيْن .

محمود ــ مولاتى . . أنتم تعتقدون بأنّى صِمْغَارْ .
لكنّى . . وأؤكدُ لكْ . . لَسْتُ بصمغار .

غازية ــ تقصدُ أنك نجّار ؟

محمود ــ نَجّارٌ يا مولاتى من حَىِّ القَلْعَةْ .
رجلٌ من أهلِ الصَّنْعَة .

غازية — (ساخرة) ولذلك يحتفلُ الكُلُّ بِمَقْدِمِكَ المَيْمُونْ ؟

محمود — كُنْتُمْ تنتظرون وُصُولَ التَّترِى .
فى زِىِّ ابن البَلَدِ المِصْرِى .
فوصلْتُ أنا أطلبُ أخشاباً .

غازية — فَتَصَوَّرْنَاكَ التَّتَرِىَّ ؟

محمود — اسمي محمودٌ يا مولاتى . .
والكُلُّ يريدُ مُحَادَثَتِى .
وَيُسِرُّ إلىَّ بأسرارِ الدَّوْلَةْ

غازية — لكنّى لنْ أُطْلِعَكَ على أسرارْ .
سأقصُّ عليك وَحَسْب . . . قِصَّةَ حُبِّى .

محمود — قِصَّةَ حُبِّكِ يا مولاتى ؟

غازية — أَسَئِمْتَ القصرَ وَلَمَّا تمكثْ فيه سُوَيْعَاتٍ سَبْعاً ؟

محمود — بل إنِّى رهنُ المَحْبِسِ أشتاقُ العَوْدَةْ .
مَنْ لِى يا مولاتى بالحرية .
أشتاقُ لِفَرَجٍ وعُبَيْد .
أشتاقُ لمسعودٍ ولِأُمِّ عَلِيَّةْ .

غازية — (تصفق) أحسنتَ التمثيلَ اليَوْم .
لا بأس بلهجَتِكَ المِصْرِيَّةْ .

محمود — (فجأة تتغير لهجته) ولْنَفْرِضْ أنّى جاسوسٌ يا مولاتى .

ماذا تبغى غازيةٌ من جاسوسٍ تَتَرِىّ ؟
أو ليسَ عدوٌ الدولةِ والإسلام ؟

غازية — بل لَسْتَ عدُوّاً لأحدْ !
إنْ صِرْتَ إلىَّ وصرتُ إليك
أنقَذْنا هذا الوَطَنَ الغَالى من ظُلْمِ الحُكّامْ .

محمود — تَتَحالَفُ مولاتى مع تَتَرِىٍّ كى تنقذَ أهلَ البَرّ ؟
ماذا فى طَوْقِ التَّتَرِى . . بل ماذا فى طَوْقِ أميرة ؟

غازية — أنَا لاَ أتحالفُ مع تَتَرِىٍّ يا . . صِمْغار .
لكنىّ أبغى أن أُطْلِعَكَ على الوَجْهِ الآخرِ لِحَيَاةِ النَّاسْ .

محمود — أتَراكِ على علْمٍ بحياةِ النَّاسِ إذَنْ ؟
أتُرى تَدْرِينَ بما يحدثُ خارجَ أسوارِ القَصْر ؟
إنَّكِ يا مولاتى مُتْرَفَةٌ تجدينَ المَأْكَلَ والمَلْبَسْ
وعلى الجَنْبَيْنِ الخَدَمُ يُلَبُّونَ الأَمْر
إنْ يَقْسُ الزَّمَنُ عليكِ يَنَلْ من سَطْوَتِكِ الشَّمَّاء
أَوْ يَعْطِفْ يَسْمُ بِعَرْشِكِ للعَلْياء
ماذا يَشْغَلُكُمْ إلا أسلابُ الغَزَوَاتِ
وسَبْىُ الرُّومِيَّاتِ وأحلامُ الأُمَرَاءِ المُهْتَرِئَةْ ؟
بِعْتُمْ للشَّعْبِ أكاذيبَ النَّصْرِ البَلْهَاء
وَتَرَكْتُمْ من فيهِ يَئِنُّ بلا أَمْسٍ أو غَدْ
محروماً يتساندُ فيه الفُقَراءُ على الفقراء

غازية — (دهشة من حماسه) مَهْلاً مَهْلاً . .
لَكَأَنىّ بِكَ مصرىّ حقاً !
محمود —لِأكُنْ مَنْ يُرْضِيكُمْ .
فَإِنَا أدرى الآنَ بِأَنَّ الأمرَ خطيرٌ حَقًا .
أمراءُ لا يَعْنيهِمْ إلاّ قَتْلُ الأُمَرَاءْ .
فاتنةٌ تَحْلُمُ بالمُنْقِذْ .
وأميرةُ قَصْرٍ حُبِسَتْ وَتَوَدُّ الثَّأر .
هل هذا ما يَعْنى الحُكْم ؟
هل هذا معنى السَّهَرِ على مَصْلَحَةِ أهالى البَرّ ؟
غازية — نَبَرَاتُك يَصْعُبُ أن تَصْدُرَ عن تَتَرِىّ .
محمود — الواقعُ أنَّ التَّتَرَ بِأَعْيُنِكُمْ مثلُ أهالى البَرّ .
أغرابٌ عنكم . .
تَنْقَضُّونَ عَلَيْهِمْ غَفْلَةْ . . أو تَنْسُونَهُمُو غَفْلَةْ
فى حىّ القلعةِ يا مولاتى حيثُ أقيم
بشرٌ يَحْيَوْنَ على هامشِ دُنيا الله
بل لا يجدُونَ من الدّنيا ظِلَّ سَحَابَةِ صَيْف
غازية — إنْ تَكُ حَقاً محمودَ النَّجَّارْ
فلماذا جئتَ إلى القَصْر ؟
بل كيفَ دخلتَ وَلَمْ يَمْنَعْكَ أَحَدْ ؟
محمود — الواقعُ أنى لا أكترثُ لِتَصْديقٍ أو تَكْذِيبْ
غازية — أَتُرَاكَ خدعتَ النَّاسَ جميعاً ؟

محمود — أنا لَمْ أَخْدَعْ أَحداً يا مولاتى
بلْ أَنْتُمْ من خَدَعَ الدُّنْيا والنَّاسْ
إنَّا ندفعُ ثَمَنَ الحَرْبِ رجالاً وَدَماً
إنْ تَكُنِ الإمرةُ لِلْأمراء
فَجُنُودُ الجَيْشِ من الشَّعْب الكَادِحْ
غازية — هَلْ يُعْقَلُ ان يَعْرِفَ نَجَّارٌ هذا كُلَّه ؟
محمود — مولاتى . .
الناسُ على عِلْمٍ بالأحْوال
والشاعرُ لا يخدعُ إلّا السُّذَّجْ
غازية — إن كُنْتَ إذنْ محموداً —
محمود — بلْ أَنَا محمودُ يا مولاتى
غازية — ولماذا جئت ؟
محمود — أَطْلُبُ بعضَ الأخشاب
غازية — لكِنَّكَ فى خَطَرٍ مُحْدِقْ
محمود — إنْ عَرَفَ الناسُ حقيقة أمرى ؟
غازية — إن عَرَفُوها قَتَلُوكْ
بل لَنْ يُنْجِيكَ سوى دَوْرِ الجاسوسِ التَّترى .
محمود — أتَظَاهَرُ انى جاسوسْ ؟
غازية — اسمعْ . . (تتردد) محمودْ
أنا لستُ سليلةَ مملوكٍ أو سلطان . .

لكنى مثلك مصرية .
ولقد عُذبتُ وآن أوانُ الثأر .

محمود — الثأرُ من فَرْدٍ ضَيَاعٌ .
أعداءُ دين الله عندَ تُخُومِنا يَتَحفَّزُون .
ضَرَبُوا خِيَامَهُمُو وطال مُقَامُهُمْ .
وَهُمُو بِنَا يَتَرَبَّصُونْ .

غازية — لا شك يا محمودُ لكن . . لستَ تدرى ما الخَطَرْ

محمود — هذا هو الخَطَرُ الذى يَحْيَا بِمَشْرِقِنَا
من أربعينَ سَنَةْ
فى كُلِّ يومٍ يَعْقِدُونَ الصُّلْحَ ثم يُمَزِّقُونه !
فى كُلِّ يومٍ يكسِبونَ الأرضَ مِنَّا
يَنْشُرُونَ بَنَاتِهم وَبَنِيهِمْ فى كُلِّ رَبْع
بل إنَّهُمْ قد خَالَطُوا أهلَ الدِّيارِ وَصَاهَرُوهُمْ
رَيْثَمَا يأتى أوانُ قِطَافِهِمْ مِثْلَ الثِّمارِ الدَّانِيَةْ
لا يا أميرةُ ليسَ ثأرُكِ ذا خَطَرْ

غازية — أَنَشُنُّ الحَرْبَ عليهِمْ يا محمودُ ونَحْنُ شِعَابٌ
وشَتَاتٌ ؟

محمود — لا تَسَلِينِى عَمَّا يفعلُ أهلُ الدَّوْلَةْ
فَأَنَا ذُو هَمٍّ فى حِرْفَتِىَ المَكْرُوبَةْ
وَمَرَامِى أن أَخْرُجَ من هذا القَصْرِ سليماً وَمُعَافَى

غازية — تَتَنكَّرُ تَنْكُصُ تَنكُثُ ؟
تتخلّى عن بَلَدِكَ فى لَحْظَةِ ضَعْفٍ ؟

محمود — عَجَباً لَكِ يا مولاتى !
هَلْ أولانى أَحَدٌ شَيْئاً حَتىَّ أَتَنكَّرَ لَهُ ؟
هل خَيَّرَنى أَحَدٌ فى شَىْءٍ حتىَّ أَنْكُصَ عنه ؟
هل أَقْسَمْتُ على شَىْءٍ حتى أَنْكُثَ فيه ؟
إنى لا أتخلّى عن بلدى .. بل أَنفِرُ من حُكْمِ السَّيْف .
الحاكمُ يا مولاتى عقلٌ وبصيرةٌ .. لا سيفٌ مُصْلَتٌ .

غازية — الحُكْمُ رهينٌ بالسَّيْفِ القاطِعْ ..
يَبْرُقُ فى لَيْلِ الوَحْشَةِ فيحيلُ البَهْمَةَ لألاءً كَمَسِيلِ الشَّمْس .

محمود — ولذا يَحْكُمُنَا الجُنْد .

غازية — احْكُمْ أَنْت .

محمود — بل أَنَا نَجّارٌ يا مولاتى .. وسَعِيدٌ بحياتى ..
عِنْدِىَ آمالٌ لا أملِكُ أن أَجْعَلَها تُورِقْ .
لكنَّ لَدَيْنَا فى حىِّ القلعةِ تاريخاً نحيَا بِهْ ..
وعلى شَطِّ النِّيلِ زهورٌ وَوُرودٌ لا يعرِفُها الأُمراءُ .

فَلأعُدِ الآنَ إلى أهْلى وَلْتَتَمَاسَكْ أيدينا حَتّى نَجْتَازَ المِحْنَةْ . .

مولاتى . . أَسْتَوْدِعُكَ الله !

غازية — تَهْجُرُنا يا محمودُ كَأَنَّا أَغْرابٌ عنك ؟

محمود — بل أَنْتُمْ أَغْرابٌ يا مولاتى . .

غازية — أَنَا مِصْرِيَّةْ . .

محمود — (ساخراً) حَقًّا ؟

غازية — الحَقَّ أقولْ .

محمود — هذا شَأْنُك . . أَسْتَوْدِعُكِ الله .

غازية — بل شأْنُكَ أيضاً . .

محمود — (مبتعداً) مولاتى . .

غازية — محمود . .

(وهو على وشك الخروج)

(يصيحُ منادٍ يا أهل القصر . . قُتل السلطان الأعظم ! قَتَلَ الجاسوسُ التَّترىُّ السلطانَ الأعظم !) .

محمود — ما هذا ؟

غازية — اهرُبْ يا محمود اهْرُبْ . .

(يدخل الجنود بسرعة ويقبضون عليه)

محمود — ماذا يَحْدُثُ يا ناس ؟

غازية — (للجنود) ماذا حدث ؟

(يدخل عز الدين)

عز الدين — قُتِلَ السُّلْطَانُ بِغُرْفَتِهِ العُلْوِيَّةْ ..
وَلَقَدْ أَثْبَتْنَا التُّهْمَةَ وعَرَفْنَا الفَاعِلْ .

(يدخل سيف الدين)

سيف الدين — هذا الجاسوسُ الخَائِنُ قَاتِلْ ..
وَسَنَقْتُلُهُ وَنُمَثِّلُ بِهْ .

(يدخل علم الدين)

علم الدين — هل فَرَّ الجاسوسْ ؟ لا .. ها هُوَ ذا !
فَلْيُقْتَلْ فَوْراً يا أمراء !
لا وَقْتَ لَدَيْنَا .. نَحْنُ بِحَالَةِ حَرْب .
فَلْيُقْتَلْ فَوْراً يا صَحْب .

غازية — هذا يا أُمَرَاءُ بَرِيءٌ لم يُذْنِبْ .
بل ليسَ بجاسوسٍ أو تَتَرِيّ .

سيف الدين — صَمْتاً يا غازيةُ فَقَدْ قُضِيَ الأَمْر .

محمود — بل أنا صِمْغَارُ خليفةُ هولاكو ..
وَلَدَيَّ عيونٌ فى كُلِّ مكان .
بل فى جيشِ المُتَفَاخِرِ سيفِ الدين .
وَهْيَ عُيُونٌ كَشَفَتْ لى كُلَّ بَلِيَّةْ .
وَلَقَدْ ارسلْتُ لِقُوَّادِى ولقُوَّاتِى .

وَحَمَامِى فى الأجْواءِ على مَتْنِ الرِّيحِ الغَرْبِيَّةْ .
إنّى أُنْذِرُكُمْ . . إنْ مُسَّتْ فى جَسَدِى شَعْرَةْ .
انْقَضَّ عليكُمْ جَيْشُ التَّتَرِ فَأفْنَاكُمْ .

غازية ـ ماذا تَحْكى يا محمود ؟

علم الدين ـ إنّا فى حَالَةِ حَرْب . . أقْصِدُ أنْتَ أسيرٌ فى يَدِنَا . .

عز الدين ـ مِنْ حَقِّ أسيرِ الحَرْبِ دِفَاعٌ عادل .

سيف الدين ـ ومحاكمةٌ عادلةٌ فى كُلِّ الأحْوَالْ .

علم الدين ـ نَعْقِدُها الآنَ

عز الدين ـ بَلِ اللَّيلَةَ .

سيف الدين ـ بَلْ فيما بَعْد !
فَلَدَيْنا الآنَ أُمُورٌ تَشْغَلُنَا .
إذ أنّى بَعْدَ مُبَايَعَتِى
لابُدَّ سَأنْظُرُ فيما آلَ إليهِ الحَالْ .

علم الدين ـ (ذهول) بعد مُبَايَعَتِك ؟

عز الدين ـ (ذهول) عِنْدَ مُبَايَعَتِكْ ؟

سيف الدين ـ يا أيُّها الحراسُ نَفِّذُوا أوَامِرى . .
وَلْيُحْبَسِ الجَاسُوسُ فى الدِّيوانِ حَتَّى نَعْقِدَ
المُحَاكَمِة !

اظــلام

نهاية الجزء الأول

المشهد السادس

(نفس المنظر فى المشهد الأول ولكن الإضاءة نهارية وعندما يرتفع الستار نرى فرجاً وعبيداً جالسين مع رجال آخرين يتحادثون ـ والواضح أنهم مشغولون بالجاسوس فى الدكان) .

فرج ـ (مشيراً إلى الدكان) .
هل تذكُرُ إن كنا قد كَمُنّنا فمهُ . . . وَرَبَطْناهْ ؟

عبيد ـ أَذْكُرُ فى آخِرِ مَرَّةْ . .
كان هنا مسعودْ . . أَخْرَجْنَاهُ لِكَىْ يَقْضِىَ حَاجَةْ .

فرج ـ (يضحك) تخشى أن يُفْسِدَ دُكّانكْ .

عبيد ـ أبداً ! إذ أنّا أَحْكَمْنا رَبْطَ يَدَيْهِ . . وَرِجْلَيْهِ مَعاً .

فرج ـ لكنَّكَ لمْ تَأتِ خِلَالَ اللَّيْلِ لِتَتَأَكَّدْ ؟

عبيد — كانَ عَلَى مسعودٍ أن يَحْمِلَ عَنِّى بَعْضَ العِبْءْ .

فرج — تعنى أنّكَ نِمْتَ قَرِيرَ العَيْنِ وذاكَ المَلْعُونُ بِدُكّانِكْ ؟

عبيد — كان هنا مسعودٌ طولَ اللّيْل .

فرج — زَوّغَ من أُمّ عَلِيّة ؟
سَهِرَ اللّيْلَ هُنا ؟
ياللّنَكَدِ الأزلى !
لا شكّ بأنّ المِسْكِينَ ينامُ الآنَ بمنزِلهِ أو فى المَشْغَلْ !
وَسَتَأتى الآن لِتُلْقِى باللاّئِمةِ علينا وتصيحُ وتصرخْ . .

عبيد — لا تَقْلَقْ من ناحيةِ ام عَلِيّة .
فأنا أعرفُ كيفَ أُحاوِرُهَا (يضحك) وَأُلاغيها !

رجل ١ — لَكِنْ لم لا يتزوجُ مسعودٌ تلكَ البِنْت ؟

رجل ٢ — لِمَ يَهْرُبُ كالمسعورِ كَأَنَّ بها عَيْباً ؟

فرج — بل فيها سِرّ !

رجل ١ — المرأةُ تَمْلِكُ مَالاً . .

رجل ٢ — وَلَدَيْها مَشْغَلْ . .

رجل ١ — مَنْزِلُها لا بأسَ بِهِ . .

فرج — لا تَسْلُوا عن أشياء . .

عبيد — إنْ تُبْدَ لَكُمْ سائتكُمْ .

رجل ١ ـ تقصِدُ أنَّ عَلِيَّةَ لَيْسَتْ حُلْوَةْ ؟

رجل ٢ ـ لكنَّ البنتَ غنيَّةْ .

رجل ١ ـ لِمَ لا تتكلمُ يا فرجَ الله
قُلْ أنتَ عُبَيْدُ ما سِرُّ الأزْمَةْ ؟

(فرج ينتحى بعبيد جانباً ويتهامسان)

فرج ـ (يغمز لعبيد) لا تَسَلُوا عن
أشياءْ . . (يضحك) .

(تدخل أم عليه فى هلع)

أم علية ـ هل عادَ المَتْعُوسُ من القَصْر ؟
قَدْ عَلَتِ الشمسُ وصِرْنا فى الظُّهر .

عبيد ـ أهلاً يا أُمّ عليَّةْ . .

فرج ماذا تبغين الآن ؟

ام علية ـ المنحوسُ المنكودْ . .

عبيد ـ (بمكر) محمودْ ؟

ام علية ـ بل مسعودْ .

فرج ـ أوَ لَمْ يَذْهَبْ للمَشْغَلِ بَعْد ؟

ام علية ـ بل ذَهَبَ إلى قَصْرِ السُّلطانْ .
غَافَلَنى المتعوسُ وَفَرّ . .
لَمْ يترِكْ إلاَّ وَرَقَةْ . . وَبِخَطِّ يَدِهْ .
يُقْسِمُ فيها انْ سيعودُ قُبَيْلَ الظُّهر .

عبيد ـ لَمْ يترِكْ إلاَّ ورقة ؟

وَيخطّ يَدِهْ ؟ لكنْ .. لكنْ ..

فرج — لكنْ مسعودٌ لا يكتبْ .. أقْصِدُ لا يقرأْ ..

عبيد — مسعودٌ أُمِّى يا أم عَلِيَّةْ .

فرج — وَإذَنْ سُيَعَيِّنُهُ السُّلطانُ وَزِيراً
وَسَيَحْيا فى رَغَدٍ وَهَنَاءْ
بل قد يتزوجُ من أَهْلِ القَصْر

ام علية — يتزوجُ ؟ يا لليومِ الأَغْبَرْ !
وعليةُ بِنتى .. من يتزوجُها ؟

رجل ١ — (يتقدم منها) ما مهرُ عليةَ يا سِتَّ الكُلِّ ؟

ام علية — (منزعجة) ما شأنُكَ أنت ؟

رجل ١ — أقصدُ أنّك ذاتُ جَمَالٍ وَخُلُقْ .
ولذلكَ فعليةُ مِثْلُكْ ..
وأنا لَمْ أتأهّلْ بَعْد .

ام علية — فَسَدَتْ أخلاقُ العَالَمْ (تصرخ)
العالَمُ ضَلُّوا يا ناسْ .
مسعودٌ يمضى للقَصْرِ وهذا النُّطْعُ يريدُ عَلِيّةَ !
لَمْ تَعُدِ الناسُ تخافُ الله !

عبيد — قصدُ الرَّجُلِ شريفٌ يا سِتَّ الكُلِّ .

ام علية — يا خيبةَ أَمَلِى فيكَ وفِيهِمْ .
فَوَّضْتُ الأمرَ إلى الله .

(يدخل المنادى وخلفه الناس وهو يصيح)

المنادى — يا أهلَ البَرّ انتبهوا . .
أَمَرَ السُّلْطانُ الأكبرُ سيفُ الدِّين
بِمُحَاكَمَةِ الجَاسُوس التّترى صِمْغَار
عَلَناً بعدَ صلاةِ العَصْر
فلقد ثبتت تُهْمَةُ قتلِ السلطانِ عَلَيْه
ولسوفَ تُقَامُ المِشْنَقَةُ هنا
بَعْدَ صَلاَةِ الظُّهْر .

(يتحرك المنادى خارجاً)

فرج — كيفَ نُحَاكِمُ من ثَبَتَتْ تُهمةُ قتلِ السلطانِ عَلَيْه ؟
لم لا نَشْنُقُه فَوْراً يا ناس ؟

ام علية — لكنْ ماذا حَدَثَ لِمَسْعود ؟
ارجو أنْ يَسْلَمَ لى . .
كَمْ أخشى أنْ يَلْحَقَهُ سُوءٌ . .

عبيد — بل ماذا حَدَثَ لِمَحْمُود ؟
ارجو أنْ يَأْتِيَ حَتّى يَحْكِيَ ما شَهِدَ من الأَحْدَاثْ .

أم علية — بل أنا ذاهبةٌ لَهْ .
لا أَقْدِرُ أنْ اصْبِرَ حَتّى يأتى .
وَسَنَرْجِعُ منصورين بإذنِ الله !

فرج — فَلْتَنْتَظِرِى حَتّى يأتى الناسُ جَمِيعاً .

ام علية — ولماذا لا أذهبُ ؟
سأواجهُ هذا السلطان . .
ماذا يا فَرَجُ اسمُه ؟

فرج — لا أذكرُ يا أُمَّ عَلِيَّةْ . .
ماذا يعنى الإسْم ؟

عبيد — علمُ الدِّينِ الباشقردى ؟ عِز الدين الكُرْجِى ؟
لا بل سَيْفُ الدِّينِ القَشْقَارْ .

فرج — أَحَدُ القُوَّادِ فَحَسْب .

عبيد — لا بل أَحَدُ القوادِ الأفذاذ !
اسْأَلْنى فَأَنَا حَارَبْتُ مَعَهْ .
اسْأَلْنى فَأَنَا خُضتُ الأَهْوَالَ إلى جَنْبِهْ .
(يندمج فى الخيال) فى يَوْمِ الفَزَعِ الأَكْبَرِ عُدْنا
نَرْكَبُ مُهْرَيْن .
وَعَلَى مَتْنِ الرِّيحِ رَكَضْنا فى صَفَّيْن .
(ينفعل) كَشُعَاعِ الشَّمْس أَذَابَ سَحَابَ الصَّيْفِ
الناصع .

ام علية — (منزعجة جداً) يا لَهْوى ماذا حَدَثَ . . عُبَيْد ؟

فرج — يكفى هذا يا فارسَ فُرْسَانِ الأرضْ .

عبيد — لَمْ تَسْمَعْ ما حَدَثَ إذ انْثَالَ الفُرْسانُ ورائى .
والرَّعْدُ يُجَلْجِلُ فِى الأَجْواءِ كَأَنَّ الساعةَ قَامَتْ .

فرج — ستقومُ الساعةُ إن لم تسْكُتْ .
(صارخاً) يكفى هذا وَلْنَنْظُر ما نفعلُ حتّى يأتِيَ محمود .
وأَرَى أن نُخْرِجَ هذا الجاسوسَ الآنْ .. (يفحص قفل الدكان) .
اسمعْ .. اذهبْ أيْقِظْ مسعودْ .

ام علية — مسعودٌ ؟ هَلْ هُوَ نَائِمْ ؟

فرج — هُوَ بالمَنْزِلِ نَائِمْ .

ام علية — وَإِذَنْ فَلأَذْهَبْ لَهْ (تخرج) .

عبيد — لَمْ يَكُنِ القُفْلُ هُنَا بالأَمِسْ ..
هُوَ وَضَعَ القُفْلَ ومَعَهُ المِفْتاح .
(الجميع يفحصون القفل على باب الدكان)

فرج — بل هذا ليسَ بِقُفْلِ الدُّكَّانْ .
من أينَ أتى هذا القُفْلُ المُحْكَمْ ؟
(اثناء انشغالهم فى جانب المسرح يدخل شهبندر مع حسنة من الجانب الآخر) .

حسنة — هذا هو سُوقُ القَلْعَةْ ..

شهبندر — فَلأَذْهَبْ لِلسَّاحِلِ حتى أُخْبِرَ باقى الملاّحين .

حسنة — لكنْ مولاتى أَمَرَتْنى ..

شهبندر — (مقاطعاً) مولاتُكِ مولاتُكِ مَوْلاتُكْ !
أَوَ لَمْ تَتَحَرَّرْ نفسُكِ من هذا القصرِ وَمَنْ فيه ؟
نَحْنُ الآنَ بِمَأْمَنْ .. نحنُ الآنَ بِمِصْرٍ لا بالقصر .

حسنة — أعرفُ ذلكَ يا شهبندر ..
أعرِفُ ذلكَ خَيْراً مِنْكْ — لكنْ (تلمح فرجاً)
لكنْ (فى دهشة وفرحٍ) هذا فرجُ الحدَّاد .
كانَ زميلَ أبى فى الصَّنْعة .
أَتُرىَ يذكُرُنى الآن ؟
(الجميع يتنبهون لوجود حسنة وشهبندر) .
(فرج يفحص القفل وينظر من طرف عينه)
(يلتفت إليهما) .

عبيد — من هذان ؟ (يلتفت إليهما) .

شهبندر — أَنَا مَلاَّحُ يا أسطى ..

فرج — هذا عُبيدٌ وأنا .. فرجُ الحدّاد ..

شهبندر — أهلاً تَشَرَّفْنا وأنا —

حسنة — (مقاطعة) أَنَا حُسْنَةُ يا فَرَجُ الا تَذْكُرُنى ..
أنا بنتُ صلاحِ الدّينِ الحدّاد .

فرج — (يفيق من المفاجأة) بنتُ الأستاذ ؟ حُسْنة ؟
لا يُعْقَلْ .. إنّى أَحْلُمْ !
قُولى .. ماذا حَدَثَ وكيفَ تَرَكْتِ القصر ؟

عبيد — هل تعرِفُها يا فرجَ الله ؟

فرج — هى بنتُ صلاحِ الدّين الأستاذ ..
أمْهَرُ من دَقّ على السَّنْدان .. يرحمه الله .
أخذوها تعملُ فى قصرِ السلطان لَدَى خَاتون .
بنتِ المَلِكِ الأَكْرَمْ .
كانت طفلةْ .. وهى الآنْ .. يا جَلَّ الله ..
هَلْ هذا زوجُك يا حُسْنة ؟

حسنة — هذا شهبندرْ .. يَشْغَلُهُ البحرُ عن الدُّنْيا .
وعن الدُّنيا تشغَلُه الحرب ..

فرج — مع من تُبحِرُ يا رَيِّسْ شهبندر ؟

شهبندر — أبحرُ مع تاجِ الملاحين الرَّيِّسْ عَسْكَرْ .

عبيد — الريّس عسكرْ ؟ إنى أعرفه منذ سنين .
كان يُقيمُ ببابِ الخَلْقْ .. وَلَهُ بيتٌ فى الدَّرْبِ الأَحْمَرْ .

شهبندر — تَعْرِفُهُ ؟ (فَرِحاً) قد أعطانى هذا البيت ..
أقصدُ أنى ابْتَعْتُه .. حتى أتزوجَ فيه ..

حسنة — (غاضبة) فى المِشْمِشْ .

شهبندر — حُسنةُ ماذا تعِنين ؟

حسنة — أعنى أنّا لن نتزوجَ أبداً !

شهبندر — هذا كلامُ غاضبةْ !

حسنة — لنْ أعرِفَ الهناءَ طالما انشغلتَ بالتَّتارِ
والصِّراعِ والحُروبِ والدَّمارْ .

شهبندر — وكيفَ ننْسى أنَّ ثَمَّ غاصِباً يريدُ أنْ يجتاحَ مصر ؟
احكُمْ عُبيدُ بيننا . .
لقد تركنا القصر عندما تأزَّمَتْ أُمورُ القَصْر .
والآنَ قد سَمِعْنا فى الطريقِ أنَّ حاكِمَ الدِّيَارِ قد قُتِلْ .
وأن جاسوسَ التَّتارِ قاتِلُهْ .

حسنة — أليسَ هذا يا عُبيدُ من شُئونِ الحاكمين ؟
ماذا يُضِيرُنا لو ماتَ سلطانٌ صغيرٌ أو قُتِلْ ؟

شهبندر — ماذا يُضِيرُنا ؟

حسنة — قصدتُ أنّنا لا شىءَ فى يَدِنا . .

شهبندر — كيفَ ونحنُ النَّاس ؟
من يزرعُ الحقولَ غيرنا ؟
من يصنعُ الثِّيابَ والسِّلاحَ غيرنَا ؟

حسنة — لكننا لا شىءَ فى يَدِنا . .
الحُكْمُ فى يَدِ المماليكِ الكِبارِ فوْقَنا .

عبيد — صَدَقْتِ يابُنَيَّتى .
فَهُمْ يَحْمُونَ أرضَنا وَعِرْضَنا . .
وَهُمْ لنا دِرْعُ الحَيَاةْ .

شهبندر — لكِنّهُمْ قد يُخطِئُونْ !

عبيد — ونحنُ قد نُخْطىءْ !

فرج — من لا يُخْطِىءُ ليسَ بإنسان . .

عبيد — وبذاك قضى الرَّحْمٰن !

فرج — لا تَشْغَلْ بالَكَ بِأمورِ الدَّوْلَةْ . .

عبيد — اذهبْ للرَّيِّسْ عسكرْ فاسْتأْذِنْ .
وارجِعْ وتزَوَّجْ حُسنةْ . .

فرج — ماذا يَعْنِيك إذا كانَ السُّلطانُ هو الأكرم —
يرحمه الله — أو كان الكُرْجى أَوْ كانَ الأَفْرَمْ ؟

عبيد — بل هو سيفُ الدِّين القَشْقَارْ .
مغوارٌ لَا حَدَّ لِبَطْشِهْ . .

شهبندر — (فى يأس) أَوَ هذا سوقُ القلعة ؟
مَنْ نَصَحَتْنا غازيةُ مولاتُك أنْ نَتَّظِرَ بِهِ ؟

حسنة — قالتْ إنَّ لها أصحاباً . .

عبيد — غازيةُ بنتُ الباشْقَرْدِى ؟

حسنة — تَعْرِفُها أنت ؟

عبيد — أعرِفها ؟ قد حِكْتُ ثِيابَ أبيها .
وَثِيَابَ حريمِ القصر مئاتِ المَرَّا ْ .

شهبندر — أَفَهَذا هو سوقُ القلعة ؟ (ثائراً) .

قد كنتُ أَظُنُّ بأنَّ السوقَ التهبَ لِمَقْتَلِ سُلطانِ الدَّوْلَةْ .
قد كنتُ أظنُّ بأنَّ الناسَ تموجُ تَضِجُّ تَثُورُ تَفُورُ تَمُورْ .

فرج — (مقاطعاً) مَهْلاً مهلاً .
ماذا يَعْنينا مِنْ هذا أو ذاك ؟
بل ماذا نَعْنى نحنُ إلى الحُكَّام ؟
الحاكمُ يحيا فى دُنيا يَصْنَعُها بالسَّيفِ البَتَّارْ .
وسواءٌ كانَ الأكرمَ أو سيفَ الدِّينِ القَشْقَارْ .
فالسيفُ المُصْلَتُ واحدْ .

شهبندر — لكنَّنا أهلُ البَلَدْ ؟
وكلُّ ما فيها يَخُصُّنا . .

فرج — يا صاحبى أَفِقْ .
على الأبوابِ من دِيَارِنا تَتَارْ .
وَنَحْنُ بينَ شِقَّىِ الرَّحَى .
نُتَابِعُ الذى يقولُه الحُكَّامْ .
وَنَسْمَعُ الذى يحكونَهُ عن التَّتَارْ .
لكنَّنا أسرى .
لا نستطيعُ أن نَصُدَّ صَوْلَةَ الكِبَارْ .
أو أن نقولَ لا . . حتى إلى الصِّغَارْ .

عبيد — بالأمسِ مَضَى محمودُ للحاكم يطلبُ بعض الأخْشَابْ .

حسنة — مِثْلَ الجاسوس .

فرج — لا فالجاسوسُ هنا . .

عبيد — أنا أحكى عن محمودِ النَّجَّارْ .

حسنة — والجاسوسُ تَخَفَّى فى زِىِّ النَّجَّارْ .

فرج — هل يُعْقَلُ أن يحدثَ هذا ؟

عبيد — محمودٌ ذهبَ بِهَيْئَتِهِ دُونَ تَخَفٍّ . .

حسنة — محمودٌ ؟ هل هو من يُعْلِنُ عن نَفْسِهْ .
بعباراتٍ لا تتغيرْ ؟
« نجارٌ من حَىِّ القلعة .
رَجُلٌ من أَهْلِ الصَّنْعة ؟

فرج — هذا هو محمودُ النَّجارُ وتلك عِبَارَتُهُ الخَاصَّةْ

عبيد — قولٌ لا يخطئه إنسان !

شهبندر — هلْ يَعْنى ذاكَ بأنَّ رجالَ القَصْر
ظَنُّوهُ الجَاسُوسْ ؟

حسنة — بل هذا هُوَ ما حَدَثَ لِمَحْمُودْ

فرج — أرَأَيْتَهُ يا شهبندر ؟

حسنة — بل إنَّنى رَأَيْتُهُ وسَمِعْتُهُ

فرج — محمودٌ فى خِطَرٍ داهِمْ

عبيد — وَعَلَيْنا أن نُنْقِذَهُ الآنْ

نَشْرَحُ للسلطانِ الخَطَأَ الفَادِحْ .
ونعودُ بِهِ فى الحَالْ .

فرج ــ أَتَظُنُّ الأمرَ بهذا اليُسْرِ ؟

حسنة ــ محمودٌ محبوسٌ فى بُرْجِ القلعة . .
وَأَنَا أعرِفُ كُلَّ الحُرَّاسْ .

عبيد ــ بل قد يحتاجُ الأمرُ إلى جَمْعِ النَّاسْ . .
(إلى الرجال) يا أَهْلَ الصنعة . .

(يلتف الرجال حوله)

محمودٌ محبوسٌ فى بُرج القلعة . .
ولسوفَ يواجِهُ حُكم الموتِ إذا لم نَمْضِ إليه .

(حماس شديد من الرجال)

رجل ١ ــ لَبَّيكَ عُبيد .

رجل ٢ ــ وَأَنَا ورِجالى من خَلْفِكْ . .

رجل ١ ــ ومتى نَمْضى ؟

فرج ــ انتظروا حتى نَتَحَقَّقْ . .
لابُدَّ من الرَّأىِ الصَّائِبِ فى هذا الأمرِ وإلاّ ــ

شهبندر ــ رأىُ عبيدٍ صائبْ . .
والحَلُّ الأمثلُ أَنْ نَمْضِىَ فَوْراً . .
إذْ أَنَّ السلطانَ إذا شاهدَ حَشْداً .
لم يَمْلِكْ إلا أَنْ يَرْضَخْ . .

رجل ١ ـ سَأُنَادِى كُلَّ رجالِ المَخْبَزْ . .

رجل ٢ ـ وَلْتَتَسَلَّحْ بهراواتٍ ضخمة . .

عبيد ـ وسآتى بالسيف البَتَّارِ من الدكان . .

فرج ـ مَنْ مِنَّا سيحادثُ ذاكَ السلطان ؟

عبيد ـ أنتَ الأكبرُ يا فَرَجُ فَقُدْنا .

وَتَكَلَّمْ باسم الكُلّ . .

(يكون الرجال قد تجمعوا بأعداد غفيرة)

يا أَهْلَ الصَّنْعة . .

يا فَخْرَ شَبَابِ البَلَدِ الأَمْجَادْ

هل تَرْضَوْنَ بأنْ يتكلمَ فَرَجٌ باسمِ الكُلّ ؟

الجميع ـ طبعاً نَرْضَى . . نَرْضَى طبعاً .

فرج ـ سيكونُ دليلى شهبندر . .

وكذلك حُسنة . . لكنْ . .

أَفلاَ نُخْرِجُ هذا الجاسوسَ الآخرَ من دُكَّانِ عبيد ؟

عبيد ـ نُخْرِجُه وَنُقَدِّمُهُ للسلطان . . بَدَلاً من محمود .

حسنة ـ بل هُوَ جاسوسُ السلطانِ عُبيد .

مولاتى غازيةٌ قالتْ لى عنه . .

فهو يُزَوِّدُهَا أَيْضاً بالأخبار . .

(تضحك) لا خَوْفَ إذنْ منه .

فرج ـ أَخْرِجْهُ إذَنْ . . هَيَّا . .

عبيد ـ ليس معى مفتاحُ القُفْلْ . . من أينَ أتى مسعودُ بِهِ ؟

فرج ـ أنَا حَدَّادٌ أكْسِرُهُ لَكَ إنْ لَمْ يُفْتَحْ . .

(يعالج القفل ويفتح الدكان فيجد مسعود مكمماً ـ يزيلون الكمامة والقيود) .

الجميع ـ مسعود ؟ مسعود ؟
ماذا تَعْمَلُ فى هذا الدّكان ؟

مسعود ـ غَافَلَنى الملعونُ وَقَيَّدَنى ثُمَّ رمانى وَهَرَبْ .

(عبيد يدخل الدكان ويخرج بسيفه)

عبيد ـ هذا هو سيفى البَتَّار .

فرج ـ لا بَأْسَ إذَنْ . . هيا يا مسعودُ بنا . .
هيا يا شهبندر . . هيا يا حسنة . .
يا أَيُّها الرِّجَالُ هيّا . . ولن تَمُرَّ ساعةٌ من الزَّمَانْ .
حتى نُوَاجِهَ السُّلْطان .

اظـــلام

المشهد السابع

(المنظر هو قاعة توحى بالسجن ـ نافذة حديدية عليها قضبان وحراس فى ملابس سواء ، ومحمود جالس فى الظلام ـ يقوم ويتقدم من مقدمة المسرح) .

محمود ـ هذا هُوَ اللّيلُ الذى لا صُبْحَ له .
ليلُ الرّزَايا والبَلاَيَا المُرْسَلَةْ .
هل جِئْتَ يا محمودُ هذا القَصْرَ طَوْعاً .
وَهْوَ عَرِينُ الأَسَدِ .
هل جئتَ هذا الجُحْرَ تَسْعَى .
بين أفاعِى البَلَدِ ؟

لم يَبْقَ إلاّ أنْ تَشُدَّ رِبَاطَ قَلْبِكْ .
حتى يَعُودَ الصَّمْتُ فى جَنَبَاتِ نَفْسِكْ (تدخل غازية ملثمة) .

غازية — (ترفع اللثام) هيّا يا محمودُ بِنا .

محمود — بلْ أنا صِمْغارٌ يا سيدتى .

غازية — إنىّ غازيةٌ يا محمودُ ألاَ تَعْرِفُنى .
غازيةُ المِصْرِيَّةُ .. كيفَ نَسِيتْ ؟

محمود — أنا لا أَنْسى يا مَوْلاتى .. لكنىّ لا أَعْرِفُكِ البَتَّةْ .

غازية — مِنْ ساعاتٍ معدودة .
كُنَّا نَتَكَلَّمُ عن أَحْوالِ الدُّنيا ..
بل إنىّ أَوْحَيْتُ إليكَ بأنْ تَزْعُمَ أنّك صِمْغَار ..
الجاسوسُ التَّترِى .. انْظُر وجهى .. أنا غَازِيَةٌ .

محمود — آه ! غازيةٌ بنتُ الباشْقَرْدى ..
أَهْلاً بِكِ يا مولاتى .. هذا شرفٌ جِدُّ عظيم ..
لا أَمْلِكُ انْ أُكْرِمَكِ بهذا الخَانِ المُتَواضِعْ ..

غازية — هذا هَزْلٌ فى غَيْرِ أوَانِهْ ..
انهضْ يا محمود ..

محمود — لكنى صمغار يا سيدتى .

غازية — عاد الجاسوس وَأَكَّدَ لِى أنّك محمود ..
لا يعنى ذلك أنىّ كَذَّبْتُكْ ..

لَكِنّا نَحْيا فى زَمَنٍ مَنْكُودْ..
يَصْعُبُ أنْ نَعْرِفَ فيهِ الحَقَّ مِنَ البُهْتان ..

محمود ــ إلّا إنْ عادَ الجاسوس !

غازية ــ هيّا يا محمودُ بنا ..

محمود ــ ماذا تَبْغِى بنتُ السُّلْطان .

غازية ــ إنَّكَ تَعْلَمُ أنّى مِصْرِيَّةْ .
أَفْضَيْتُ إليْكَ صباحَ اليَوْمِ بهذا السِّر .
بل بُحْتُ بِهِ أيضاً لأميرٍ مِنْ أُمراءِ الحُكْم .
يَنْسِبُنى النّاسُ إلى عَمّهْ .
ركنِ الدّين الباشْقَرْدِى ..

محمود ــ ماذا يَعْنينى إنْ كُنْتِ بِحَقٍّ بنتَ الباشْقَرْدى .
أو كنتِ من البُسَطاءْ .. مثلى .. مِثْلَ عُبَيْدٍ وَفَرَجْ ..
أو مسعودٍ أو أمِّ عليَّةْ ..

غازية ــ أنا يا محمودُ مصريةْ !

محمود ــ مولاتى .. إنّك تَحْيَيْنَ بهذا القَصْر .
وَلَدَيْكِ مماليكُ وجنودُ وَخَدَمْ ..
هل يَعْنى هذا أنك مِصْرِيَّةْ ؟

غازية ــ لَكِنّى عِشْتُ بِقَلْبى طولَ الزَّمَنِ مع البُسَطاءْ ..
لم أتزوجْ مملوكاً أو قائدَ جُنْد .
بل عشتُ أُمَنّى النَّفس بيومٍ مَوْعُودْ .

محمود ـ بالثأرِ من الأعداء ؟
في دَهْلِيزِ القَصْرِ المُظْلِمْ .

غازية ـ بل بالعودةِ لِلدُّنيا يا محمود .

محمود ـ ولهذا كُنْتِ تَوَدِّينَ مُحَالَفَةَ الجاسوسِ التَّترى .. صِمْغار ؟
لا يا غازيةُ الحُلْوة ..
إن المصرىَّ الحَقَّ .. (تنهار غازية وتبدأ البكاء) .
لا يَضَعُ يداً فى يَدِ تَترِىّ .
حتى يَنْتَقِمَ لِقَتْلِ فَرْدٍ مهما كان .
قد كنتُ مُفِيداً لك فى ثَوْب التَّترى .
وأنَا الآن مُفِيد فى ثَوْبِ المِصْرى .

غازية ـ (وهى تنهنه) اغْفِرْ لى يا محمود ..
لَمْ أَكُ أدرى ما أَفْعَلْ ..
مِثْلَ غَرِيقٍ يَتعَلَّقُ فى اليَمِّ بِقَشَّةْ .
(تتماسك) ضَيَّعْتُ حياتى أَقْرأُ حتى شَابَتْ رَأْسى .
خِفْتُ ضياعَ العُمْرِ وأحلامى كالطَّيْفِ السَّارِبْ .
لَمْ أَكُ اتصورُ أَنْ يأتِىَ قَصْرَ السُّلْطَانِ شُجاعُ صِنْدِيدٌ مِثْلُكْ .

محمود ـ بَلْ لَسْتُ سِوَى نجارٍ يطلبُ بعضَ الأخشابْ .
دنيانا يَعْزِلُها عن دُنْياكم أَلْفُ حِجَابْ .
غازية ـ لا تَخْذُلْنى يا محمودُ الآنْ . .
قِفْ بِجِوارى أَنْتَ وأهلُ البَرّ .
لَمْ يَعُدِ الحُلْمُ هو الثّار .
بل أَصْبحَ هدمَ الظَّالِمِ ونهايةَ هذا العَصْر .
محمود ـ (ساخراً) ويكونُ على رأسِ الحُكْمِ الموعودِ فتاةٌ
تُدْعى غَازِيَةٌ
يتزوجُها رجلٌ يُدْعى محمودْ ؟
غازية ـ قِفْ بِجِوارى يا مَحْمُودُ وَحَسْب .
فَلَدَىَّ جنودٌ وعتادٌ لا حَدَّ لَهُ
ولسوفَ إذا خَرَجَ النَّاسُ على السُّلطان ـ
محمود ـ نَخْلَعُ سيفَ الدِّينِ القَشْقار ؟
(يضحك ضحكاً شديداً) وَنُوَلّى مَنْ يا غازِيَةُ
بِرَبِّكْ .
غازية ـ لا أدرى ماذا حَلَّ بِنَا !
محمود ـ ماذا حَلَّ بمحمودِ النَّجَّارْ ؟
محمودٌ لا يَجِدُ الأَخْشَابْ .
فَأَتَى يَطْلُبُ بعضَ الأَخْشَاب الشَّامِيَّةْ .
مِنْ قَصْرِ السُّلْطانِ الأَعْظَمْ .

محمودٌ لا يأبَهُ لِشُئُونِ الدَّوْلَةِ والحُكْمِ الأَدْرَمْ .
وكما تَعْلَمُ مولاتى .. محمودٌ فى السِّجْنِ اليوم
وَقَدْ يُشْنَقْ ..
أَمْ هَلْ مولاتى لا تَعْلَمْ ؟
(صوت نفير فى الخارج والحارس يعلن : مولاى السلطان سيف الدين) .
والآنَ أتى السُّلطانُ بِنَفْسِهْ ..

غازية — لا بَأْسَ سَأَخْتَبِىءُ هنا ..
(تخرج من باب خفى — وعندها يدخل سيف الدين) .

سيف الدين — (إلى الحراس) فَلْيَخْرُجِ الجميعُ .. هيّا ..
(يخرج الحراس)
والآنَ أَجِبْنِى .. مَنْ أَنْت ؟

محمود — مولاىَ عَجُولْ .

سيف الدين — هيا .. لا تُضِعِ الوَقْت ..
انْطِقْ من أنتَ تَكَلَّمْ ..

محمود — مولاىَ على عَجَلٍ وَلَدَيْهِ مَشَاغِلْ ؟

سيف الدين — (فى نفاد صبر) اسمَعْ يا صِمْغَارْ .. أنا لَسْتُ بِهَازِلْ .
إنْ لَمْ تُفْصِحْ عن نَفْسِكَ فَوْراً حَطَّمْتُ عِظَامَكْ .

محمود — لكنَّكَ تَعْرِفُ — فيما يبدو — أَنِّى صِمْغار .

سيف الدين — (تتغير لهجته) أَنْتَ الذى أَرْسَلَهُ التَّتارْ ؟
قُلْ لى فإنَّنى أُؤَمِّنُكْ !

محمود — فإذا قُلْتُ بأنِّى صِمْغارْ ؟

سيف الدين — (يهمس) مبلغُ عِلْمى أَنَّ الرَّجُلَ رَسُولٌ لا جاسُوسْ .
وكما تعلمُ نحنُ نُجِلُّ الرُّسُلَ ونُكْرِمُهُمْ .
(يضحك) لا تغضبْ من وضعِك فى المَحْبِسِ
ساعاتٍ محدودة . .
فَأَنا أرجو أَنْ أَصْرِفَ عَنْكَ الأنظار . .
حتى تهدأَ فتنةُ قَتْلِ السلطان .

محمود — لا أفهمُ شيئاً يا مولاى .

سيف الدين — بل تَعْرِفُ كُلَّ الأسرار . .
وَتَأَكَّدْ أَنَّكَ إِنْ حَقَّقْتَ مَرَامى
فَلَسَوْفَ تنالُ نصيباً من ذاك السَّعْدِ القادم .

محمود — مولاىَ إنَّ ما تقولُه لَبَالِغُ الغَرَابَةْ . .
فلستُ أعرِفُ الذى تَرْمى إليه . .
إذ اتَّهَمْتَنِى بقتلِ سُلطانِ البِلاد . .
حَبَسْتَنى —

سيف الدين — (مقاطعاً) لا تَكْتَرِثْ بِتُهْمَةٍ يَسِيرةٍ كهذه . .

محمود — بِتُهْمَةٍ يسيرةٍ عِقَابُها الهَلاكْ ؟
سيف الدين — بلْ سوفَ يُبَرِّئكَ القاضى .. لا تَقْلَقْ ..
قُلْ لى .. ماذا قالَ لَكَ السلطان ..
محمود — وإذا لَمْ يَقْتَنِعِ القاضى ؟
سيف الدين — بلْ إن القاضى مقتنعٌ وَسَعِيد — اسمعْ !
ماذا قالَ لَكَ السلطان ؟

هل أَخْبَرَكَ بما يَنْوِيه ؟
محمود — لم يُخْبِرْنى السلطانُ بشىء ..
سيف الدين — قل لى أنتَ إذَنْ .. هل تَنْوُونَ الحَرْب ؟
قلْ لى حَقاً وَلْنَتَصَارَحْ ..
محمود — بل قل لى أنتَ إذا كُنْتُمْ أَعْدَدْتُمْ عُدَّتَكُمْ لِلسِّلْم .
سيف الدين — (فرحاً) بل نحنُ نُؤَكِّدُ أنَا نَبْغى السِّلْم .
قُلْ للقَوْمِ لَدَيْكُمْ إنَّ السلطانَ القائِمَ لا يَبْغى
الحَرْبَ تَمَاماً
مِثْلَ السلطانِ الراحل ..
فحياةُ القَوْمِ هُنَا أَثْمَنُ عندى من شَنِّ الغَزَوَاتِ
المَشْئُومة .
وَبِمِصْرَ الآنَ صِرَاعاتٌ لابُدَّ لها مِنْ حَسْم .
محمود — فإذَا حُسِمَتْ أَطْلَقْتُمْ ما فى جُعْبَتِكُمْ ؟
سيف الدين — كَلَّا يا صِمْغَارُ الأَكْرَمْ !

فَأنَا لا أبغى الحربَ على أىِّ الأحوال . .
وَمَرَامِى أن تَبْقى مِصْرُ بلادَ هَنَاءٍ واستقرار .

محمود ــ تَقْصِدُ أنْ تَبْقَى أحوالُ الدُّنيا والناس
وَتَظَلُّ على ما هِىَ فيهِ الآن ؟
هل هذا مَعْنى الاسْتِقْرار ؟

سيف الدين ــ لا شَأْنَ لسلطانِ البَلَدِ بأحوال الناس . .
فَلَقَدْ ظَلَّتْ آلافُ السَّنواتِ على ما هى فيه . .
لَكِنِّى أَقْصِدُ أحوالَ الحُكْم . .
هذا ما يَشْغَلُنِى الآنْ . .
وإذا أكْمَلْنا خُطُوَاتِ السِّلْم . . وَتَعَاهَدْنا . .
وَنَبَذْنا أفكارَ الحَرْب . .
سادَ السَّعْدُ بِمِصْرٍ وانْتَشَرَ الحُبّ .

محمود ــ فى سوقِ القلعةِ يا مولاى . .
بنتٌ تُدعى أُمّ عليّة .

سيف الدين ــ (غاضباً) مَالِى وَلِأُمِّ عليّة ؟

محمود ــ صبراً يا مولاىَ اسمعْنى .
أُمُّ عليةَ يا مولاى . . لَيْسَتْ أُمًّا لأَحَدْ .
تَتَصَوَّرُ أنَّ لَدَيْها بِنْتاً .
وَتُرِيدُ لِمَسْعُودٍ أنْ يتزوجَها .

سيف الدين ــ ما شأنى يا صمغارُ بهذا ؟

محمود ــ البنتُ تعيشُ بأحلامٍ مُلْتاثة .
لا يَجْرُؤُ أَحَدٌ أَنْ يُوقِظَهَا منها . .
وكذلك لا يجرؤُ مسعودْ .
إذ يَعْمَلُ نَسَّاجاً فى مَشْغَلِ أُمِّ عليّة .
وَيَخَافُ إذا صَارَحَها أو رَفَضَ الخِطْبَةَ .
أَنْ يَفْقِدَ مَصْدَرَ رِزْقه .
سيف الدين ــ هل هذا ما تشغلُ نَفْسَكَ به ؟
محمود ــ وبقصر السلطانِ الرَّاحلِ يا مولاى . .
سيف الدين ــ هو قصرى الآن !
محمود ــ فاتنةٌ لا حدَّ لِفِتْنَتِها تُدعى خاتون .
سيف الدين ــ مهلاً يا صمغارُ تَرَيَّثْ .
لا تَذْكُرْها بالسُّوءْ .
فلسوفَ تُزَفُّ إلىَّ غداً
فى حفلٍ تَهْتَزُّ لهُ جَنَبَاتُ الوادى .
محمود ــ واهاً لكِ يا خاتونُ المسكينة .
عاشتْ تحلمُ بالفارسِ ذى اللونِ الأسمر .
وتعيشُ خيالاتٍ نَسَجَتْها من أطيافِ الشَّفَقِ الوَرْدى .
سيف الدين ــ يا صاحِبِى أنتَ غريبٌ . .
لا تعرفُ الأحوالَ فى بلادِنا .

حَذَارِ أنْ تَشْغَلَ بالَكْ .
بِكُلِّ ما تقولُه النِّسَاءُ أو يَفْعَلْنَهُ .

محمود — لكنَّ عُبيداً رجلٌ يا مولاى !
وَلَهُ أحلامٌ وخيالاتٌ لا حَدَّ لها .

سيف الدين — لا تَشْغَلْ نَفْسَكَ يا صِمْغارُ بهذا وبِتِلْك .
أنْتَ رسولٌ ولديكَ رسالة :
عُدْ لحظةَ أنْ يُبْرِئَكَ القاضى لِلْقَوْمِ لَدَيْكُمْ .
اشرحْ للقادةِ أنَّا سَنَمُدُّ حِبَالَ الوُدِّ
وَنُعَاهِدُكُمْ عَهْداً لا يتزعزع .
إنْ أنْتُمْ أخْلَصْتُمْ وَصَدَقْتُمْ .
فلسوفَ نَصُونُ العَهْدَ وَنَحْمى السِّلْم .

محمود — لكنِّى لا أعرِفُ ما تنوى أنْ تفعلَ
بالقائدِ عِزِّ الدين . . والقائدِ عَلَمِ الدين . .
وبغازيةٍ بنتِ الباشْقَرْدِى .

سيف الدين — أتَظُنُّ بِأنَّهُمو سوفَ يَشُنُّونَ الحَرْبَ عليكمْ ؟
لا يا صمغارُ تَأكَّدْ أنَّهُمو لا وزن لَهُمْ .

محمود — أَسَتَقْتُلُهُمْ ؟

سيف الدين — أَقْتُلُهُمْ ؟ حاشا لله !
بَلْ كُلُّ مِنْهُمْ سوفَ يُدَمِّرُ صاحِبَهُ .

محمود — يَقْتُلُهُ ؟

سيف الدين ـ يَذْبَحُهُ مثلَ كِبَاشِ الأضحى !

محمود ـ حتى غازيةٌ ؟

سيف الدين ـ (مفكراً بعض الشيء) من غازيةٌ تلك ؟
(متذكراً) غازيةٌ ! آه ! لَيْسَتْ تلكَ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٌ .
إنْ شِئْتُ طَحَنْتُ عِظامَ البنتِ المسكينةِ فى لَحْظَةٌ .
آهٍ يا صمغارُ لَوْ تَدْرى (يضحك) .

محمود ـ سَمِعْتُ أنَّها لَيْسَتْ من المماليكِ الكِبار .

سيف الدين ـ ولا من الصِّغَارِ يا صمغار .
بل إنَّها يا صاحِبى .. مِصْرِيَّةٌ (يضحك ضحكاً شديداً) .

محمود ـ (فى سخرية شديدة) لا أستطيعُ أنْ أُصَدِّقَ .
وما الّذى أتى بها إلى قَصْرِ الأَمِيرْ ؟

سيف الدين ـ تصاريفُ الزَّمَنْ (يضحك) .
لسوفَ يأتى زَمَنُ المُكَاشَفَةْ .
والآنَ سوفَ أعودُ للقاضى لِنَعْقِدَ المُحاكمة ..

محمود ـ وإذا نَجَحْنا .. أَىَّ مَغْنَمٍ أَنالْ ؟

سيف الدين ـ خُذْ ما تريد .
ستكونُ مِصْرُ غنيمةً مفتوحةً
أَرْسِلْ إلىَّ بما تُرِيدُ وَحَسْب .

محمود ــ (ساخراً) وهكذا يسودُ السِّلْمُ والهَنَاءْ .
(يضحك ويمسك به) وتَلْتَقِى الأيادِى وَيُنْشَرُ الرَّخَاءْ .
(يسمع ضجيج من خارج المسرح ــ يدخل علم الدين ثائرا) .
علم الدين ــ هذا الخائنُ ليس بِصِمْغار .
سيف الدين ــ (ذاهلاً) ليس بصمغار .
علم الدين ــ بل هو محمودُ النجار . .
جاء رجالُ الصَّنْعَةِ من أصحابه .
يَسْعَوْنَ لإنْقَاذِه .
سيف الدين ــ ذاكَ محالٌ يا علمَ الدين .
علم الدين ــ بل هُوَ ما أحْكى . . والحَقَّ أقولْ .
واجتمع وَرَاءَ هُمُو حَشْدٌ مِنْ آلاف .
لا أدرى مِنْ أَيْنَ أَتَوْا !
سيف الدين ــ فَرِّقْهُمْ يا عَلَمَ الدِّين . . هَدِّئْهُمْ !
علم الدين ــ لا أَقْدِرُ أَنْ أفعلَ شيئاً مادامَ الملعونُ هنا !
سيف الدين ــ فَرِّقْهم . . هَدِّئْهم قُلْت !
علم الدين ــ بَلْ فاجْمَعْ كُلَّ مَمَالِيكِ القلعة . .
لِتَصُدَّ الهَجْمَةَ بالحِلْقِ المَعْهود . .
سيف الدين ــ ماذا تعنى ؟

علم الدين ــ أخطب فيهم .. قُلْ لَهُمو إنَّ المَسْئُولَ هو الكُرْجى ..

أو غازيةٌ .. ونكونُ ضَرَبْنَا عُصْفُورَيْن ــ أعنى ــ

(تخرج غازية من وراء الستار تدخل فيتسمر الجميع) .

غازية ــ عُصْفورَيْن ؟ أَحَدُهُما غازيةٌ يا علمَ الدِّين ؟

سيف الدين ــ غازيةٌ هُنا ؟ مِنْ أَيْنَ أَتَتْ ؟

غازية ــ سِرِّى يعرفُه الكُلُّ الآنْ !

وَلَسَوْفَ أواجِهُ أهلَ البَرّ !

اذْهَبْ يا سيفَ الدِّينِ وقُلْ لَهُمُو إنِّى قادمةٌ

مع محمودٍ .. ومعى الجاسوسُ الآخر .

علم الدين ــ الجاسوسُ الآخر ؟

غازية ــ هيا يا سيفَ الدِّين ..

هيَّا يا علمَ الدِّين ..

اليومَ سَنَشْهَدُ آخر حَلْقَاتِ المَأْساة .

وسيعرفُ كُلُّ الناسْ .. من هى غَازِيَةُ المِصْرِيَّة !

سيف الدين ــ (هائجاً) حقاً ؟ عِشْنا حتى تَأْمُرَنا امرأةٌ مصرية .

ماذا أفعلُ بك ؟ الموتُ عِقَابٌ هَيِّنْ .

يا حُرَّاسْ ! أَلْقُوا بالملعونةِ فى جُبِّ القَلْعَةْ .

إذْ أَنَّ حسابَكِ عِندى لَمْ يَأْتِ أَوَانُهْ .

غازية — بَلْ إنَّ حِسَابَكَ مع أهْلِ البَرّ .
ها هُمْ قَدِمُوا لِلثَّأر . .
وَلَسَوْفَ أذيعُ السِّر .
بلْ لَنْ أحْفَظَ أىَّ الأسْرار .

سيف الدين — صَمْتاً يا حَمْقاء .

غازية — لَمْ يَعُدِ الصَّمْتُ يفيد . .
إن كُنْتَ عَقَدْتَ السِّلْمَ مع الأشْرار .
فَأمامَكَ حربٌ لا تَهْدَأُ مع مَنْ خادَعْت وَضَلَّلْت

سيف الدين — فَلْتَخْرِسْ هذا الصَّوْتَ على الفَوْر .

علم الدين — بلْ دَعْنى يا مولاىَ أحادِثُها . .
فهناكَ أُمورٌ ارجو أنْ أعْرِفَها منها . .
اخْرُجْ انتَ ومحمودٌ للنَّاسْ . . ولسوفَ نُوَافِيكُمْ فى الحَالْ .

(يدخل حارس ويصيح :)

الحارس — مولاىْ . . دَخَلَ المصريونَ القصر .

علم الدين — هَيَّا يا مولاىْ . . هيا يا محمود . .

(يخرج سيف الدين ومحمود) .

غازية — مَنْ يَضْرِبُ فى الصَّحْرَاءِ يُمَنِّى النَّفْسَ بِوَاحَةْ .
وَظِلَالٍ وارِفَةٍ فى حَرِّ الهَاجِرَةِ المُرَّةْ .
مَنْ يركبُ مَتْنَ البَحْر يُمَنِّى النَّفْسَ بِسَاحِلْ .

بالشَّطِّ المَمْدُودِ وبالنَّخْلِ الباسِقْ .
وَظِبَاءٍ لاهيةٍ فى زَمَنٍ غَافِلْ .
قد يَصِلُ الضَّارِبُ فى الصحراءِ
وقد يَرْسو من يَرْكَبُ مَتْنَ البَحْرْ .
أمَّا مَنْ يَحْيَا فى مِصْرْ .
وَهِى الواحةُ والزَّمنُ الغافلْ .
فبماذا تُشْرِقُ نَفْسُهْ .
وبماذا يَنْطِقُ حِسُّهْ .
إلاَّ بأمانِىَ يَرْتَعِدُ لها القَلْب .
أو يَجْفِلُ من مَقْدَمِها اللُّبْ .

علم الدين ــ أَوَ تِلْكَ أَمَانِيكِ إذَنْ يا غازيةُ الحَمْقَاء ؟
أَنْ يَهْجُمَ أَهْلُ البَرِّ على القَصْر .
لِيَهُدُّوا دِرْعَ الدَّوْلَةِ والبَرّ ؟

غازية ــ بل هذا يومُ الثَّأر .
وَسَأَكْشِفُ فيهِ لأَهْلِ البَرّ . .
ما عاشُوا زَمَناً لا يَدْرُونَهْ . .
حتَّى أَضَعَ نِهَايَةَ هذا العَصْر .
علم الدين ــ هذا عَبَثٌ يا غازيةُ كَفَى
مازلتُ على عَهْدِى . . أَنَسِيتِ العَهْد ؟
غازية ــ الخَائِنُ لا عهدَ لَهُ .

علم الدين ــ أنَسِيتِ الخَطَرَ المُحْدِقَ بِكْ ؟
غازية ــ أنَسِيتَ المِصْريينَ بِسَاحِ القَصْر .
علم الدين ــ أوَ لَسْتِ مِنَ القَصْر إذَنْ ؟
غازية ــ بلْ أنَا غازيةُ المِصْرِيَّةْ .
علم الدين ــ وَلَدَيْكِ فؤادُ مِصْرِىُّ خائنْ . .
لا حَقَّ لَهُ أنْ يَخْفِقَ بَعْدَ اليَوْم .
(يطعنها فتتهاوى) .
غازية ــ أهْلِى فى السَّاحَةِ ينتظرون . .
إنْ يُقْتَلْ مِصْرِىُّ يَحْيَا فى مَوْقِعِهِ ألْف . .
هَيْهَاتَ إذَنْ يا عَلَمَ الدِّين . .
سِرِّى يعرِفُه غيرى . .
يَعْرِفُه محمودُ وشهبندرْ .
يعرفه فرجٌ وعُبَيْدُ وحُسْنَةْ .
(الحارس يدخل صائحاً) .
الحارس ــ سَدَّ المصريُّون منافِذَ قصر السلطان . .
القصرُ مُحَاصَرْ . . أدْرِكْنا يا مولاى . .
القصر محاصر . .
غازية ــ إنَّ فؤادى يَخْفِقُ فى كُلِّ فؤادٍ يَخْفِقُ فى السَّاحَةْ . .
ولسوفَ تَرَى بعيونِك ما عَجَزَتْ رُوحُكَ عن إدْراكه . .
(تقع وتلفظ انفاسها) .

اظــلام

المشهد الثامن

(ساحة القصر ـ فرج يقف وخلفه عبيد وحسنة وبعض الرجال ـ وأمامهم يقف سيف الدين ومحمود) .
(حراس ومماليك فى كل مكان)

سيف الدين ـ مَنْ أَنْتُمْ ؟ ماذا تَبْغون ؟
(هرج ومرج ولغط ثم يسكتهم فرج ويتقدم من سيف الدين) .
فرج ـ إنّا لا نَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ ولكنّا نَسْأَلُ عن محمود ! محمودُ النّجار . . هذا ! (ويشير إليه) .
سيف الدين ـ مبلغُ عِلْمي أنّ الشّخْصَ الواقِفَ بين يَدَيْنا . جاسوسٌ تَتَرِيٌّ يُدعى صِمْغارْ .

فرج — بل هو محمودُ النَّجار .
لا يَجْهَلُه أَحَدٌ منّا .
وَلْتَسْأَلْ من شِئْتَ مِن النَّاس .

(هرج ومرج ولغط) .

عبيد — ولماذا لا يتكلمُ محمودُ بِنَفْسِه ؟
انْطِقْ يا محمودُ تكلَّمْ .. قُلْ لَهُمُو مَنْ أَنْتَ .

محمود — لو يسمحُ لى مولاى ..

حسنة — (إلى عبيد وفرج) هذا سيفُ الدين القَشْقار .

عبيد — (ثائراً) حتى لو كان السلطان .

(هرج ومرج ولغط) .

فرج — (يحاول تهدئة عبيد) أُسْكُتْ انت .
أَنَا أتكلمُ باسمِ جميعِ الناس ..
قولوا يا ناس .. أَوَ لَيْسَ الواقفُ ذاك .
محمـود النجـار؟ (الجميـع يقـولـون
محمود .. محمود ..) .

سيف الدين — أيًّا كان الواقفُ ذاك .
فَلَقَدْ عَلِمَ من الأسرار .
ما يجعلُنى أُبقِيهِ إلى جَنْبى فى هذا القصر .
لا تَخْشَوْا شيئاً فَأَنَا لن أُوذِيَهُ ..
بلْ سَأَصُونُه .

فرج — ماذا تعنى ؟

سيف الدين — قد يَتَقَلَّدُ منصبَ حُكْمٍ .. مثلَ الحُكَّام .

فرج — مثل الحكام ؟

سيف الدين — بل يقدرُ أنْ يَسْمُوَ فوقَ الحُكَّامْ (تدخل أم علية مهرولة مع مسعود) .

ام علية — ها هو مسعودٌ يا محمود .
هل جئتَ بِخَشَبِ العَفْش .
إنّا حَدَّدْنا مَوْعِدَ كَتْبِ كِتَابِ البِنْت .

محمود — أَوَ هذا حَقٌّ يا مسعودْ ؟

مسعود — لِمَ لَا ؟ عُدْ مَعَنَا الآن ..
فَلَقَدْ احضرتُ جميعَ رجالِ المَشْغَلْ ..
وانْضَمَّ إلينا كُلُّ النَّسَّاجِينَ وكلُّ الغَزَّالين ..
وجميع الصَّبَّاغِين .
هيا يا محمودُ بنا .

محمود — ومتى يومُ الفَرَحِ المَوْعود ؟

مسعود — عند انتهاء العَفْشِ طبعاً ..
لكنَّ كَتْبَ كِتَابِنا يومَ الخميس .

محمود — يومُ الخميس غداً ؟

مسعود — كَتْبُ الكِتَابِ فَقَطْ .

محمود — أما الدُّخْلة ؟ ! .

مسعود ـ ما شَأْنُكَ بالدُّخْلَةِ يا مَحْمود ؟

ام علية ـ (تزغرد) يا فَرْحَةَ أمِّ عليّة .

محمود ـ (إلى سيف الدين) أَفَهِمْتَ إذَنْ يا مولاى ؟
سَيُزَفُّ المسعودُ غداً لخَيَالٍ فى رأسِ البِنْتِ
المسكينة .

فرج ـ (منزعجاً) ماذا تَقْصِدُ يا محمود .
أَوَ لَمْ نَحْلِفْ ألاّ نُفْشِىَ هذا السِّر ؟

محمود ـ بعضُ الأسْرارِ لها عُمْرٌ محدود .
وهى تعيشُ كَمِثْلِ الوَهْمِ بلا جَسَدٍ مَحْسوس
أطْيافاً كَدُخَانِ الصَّيْف . .
أوْ كَضَبَابٍ فى غَبَشِ الصُّبْحِ المَقْرُورْ .
وكذلك يا مولاى . . سر شَجَاعَتِكَ المَكْنُونْ !

سيف الدين ـ صَمْتاً (فى حيرة وضيق) لا أدرى ماذا حل بكم !

محمود ـ غازيةٌ تعجَبُ ماذا حَلَّ بمحمود . .
وكذلك سيفُ الدين . . يسألُ ما حَلَّ بنا !

سيف الدين ـ صَمْتاً قلتُ وإلاّ . .

(يدخل شهبندر مهرولاً مع بعض الرجال) .

شهبندر ـ جاء الملاحونَ لإنقاذِ النّجار .

حسنة ـ هذا شهبندرُ يا محمود . .

شهبندر ـ لم أذْهَبْ لِلسّاحِلِ

إلّا لاسْتِئْذانِ الرّيّسْ عسكرْ . .
(يقترب من حسنة) حتى نَتَزَوّجَ يا حُسنة .
لَكِنَّ الملاحين انْتَفَضُوا لسماعِ الخَبَرِ الفَادِحْ .
وَأَصَرَّ الكُلُّ على أَنْ يُنْقِذَ محمود النجار .

حسنة ــ (فى سعادة غامرة) نتزوجُ حَقاً يا شهبندر ؟

شهبندر ــ بالباب حبيبةَ قلبى ألفُ مُحَارِبْ . .
بل ضَاقَتْ بِهِمُ السّاحاتُ الكبرى .
أما النُّوبِيَّة . . فَبِأَيْدِيهِمْ شُعْلاتٌ مُتَّقِدَةْ . .
وَيُصِرُّونَ على إحْراقِ القَصْر بِمَنْ فيه .
إنْ لم يخرجْ محمودُ إليهم .

حسنة ــ نتزوجُ فى مَنْزِلِنا بالدَّرْبِ الأحْمر ؟

فرج ــ هيا يا محمودُ إذنْ .
(يتحرك محمود ناحية فرج فيستوقفه سيف الدين)

سيف الدين ــ (يغير لهجته) اصبرْ لَحْظَة !
لَمْ يفهمْ بعضُ النّاسِ هنا مَرْمَاى .
إنْ كانَ النّجار بريئاً مِنْ قَتْلِ السُّلْطان .
أَطْلَقْناه . .
وَلِذَلك سوفَ نُحَاكِمُهُ وَنُبَرِّئُهُ عَلَناً .
حتى تسقُطَ تهمةُ جاسوسِيَّتِهِ والقَتْل

(يبتسم) وَأَنَا لا شَكٌّ لدىَّ بأنَّ الرَّجُلَ بَرِىءْ .
لكنْ لابُدَّ من الحُكْم عَلَيْهِ بما يُرْضِى الله .
فإذا كَانَ بَرِيئاً لَمْ يُذْنِبْ ـ

شهبندر ـ (مقاطعاً) مَنْ سَيُحَاكِمُ مَنْ يا سُلْطان ؟
نحنُ لدينا القوةُ ولدينا من يَقْضى فى الأَمْر .

سيف الدين ـ أَتُهَدِّدُنى . . يا مِصْرى ؟
أَتُراكَ نَسِيتَ مكانَكَ وَنَسِيتَ مكانى ؟

شهبندر ـ مَطْلَبُنا يا مولاىَ يَسِيرْ . .

فرج ـ أَطْلِقْ مَحْموداً وَسَنَمْضى .

شهبندر ـ لَنْ يرضى أحدٌ أن يَمْثُلَ محمودٌ فى محكمةٍ لا
نعرفُ قَاضِيَها .

سيف الدين ـ هذا عِصْيَانٌ يا . . فَلَّاحْ !

شهبندر ـ العِصْيَانُ على ظَهْرِ البَحْر جريمة .
لَكِنَّا فى البَرّ . . وَأَنَا مَلَّاحٌ فلَّاحْ .
أَمْلِكُ أَنْ أَعْصِىَ من لا طَاعَةَ له !
الطاعةُ يا مولاى السلطان .
واجبةٌ للحاكمِ إنْ بايَعَهُ النَّاس . .
وبدون البَيْعَةِ لا طاعةَ لك .

سيف الدين ـ (ثائراً) يا حُرَّاس .

شهبندر ـ (يضحك) لن يسمعَ أَحَدٌ صَوْتَكَ يا مولاى .

فَرِجَالى قَدْ حَبَسُوا كُلَّ مَمَالِيكِكَ .
وَمَمَالِيكِ الأُمَرَاءِ . . فى مَخْفَرِهِمْ .
(يتنمر) ورجالُ البَحْرِ أشِدَّاءُ .
إنْ صِحْتُ بِهِمْ هَجَمُوا بلْ دَكُّوا القَصْرَ على مَنْ فيه .
(يدخل علم الدين وعز الدين وخاتون)
سيف الدين ـ (تخونه شجاعته) أدْرِكْنى يا عز الدين !
علم الدين ـ بل لا تقلقْ يا مولاى !
قُتِلَتْ غازيةُ الخائنةُ بِمَحْبِسِها .
إذْ كانتْ تَتَآمرُ لِهَلَاكِ السلطان .
سيف الدين ـ ولماذا جئتَ بخاتون ؟
علم الدين ـ دَعْ لى يا مولاىَ أُمورَ الدَّوْلَةِ هذا اليوم .
شهبندر ـ هيا يا محمودُ بنا . .
لا شأنَ لَنَا بأُمُورِ القصر . .
علم الدين ـ (فى لهجة خطابية) فَلْيَذْهَبْ محمود !
يا أَهْلَ البرّ . .
قد أَمَرَ السلطانُ بإخراجِ الخَشَبِ المَخْزون .
وَتَكَرَّمَ وَتَعَطَّفَ وَتَنَازَلَ فَعَفَا . .
عنْ كُلِّ الأقوالِ وكُلِّ الأفعالِ المُهْتَرِئَةْ .
من مَحْمودٍ . . أَوْ من شهبندر . .
أَوْ مِنْ أَىٍّ منكم . .

ها قد جاءتْ خاتون عَرُوسُ السلطان .
(لا أحد يرد ـ همهمات بين المصريين)
لِمَ لا أسمعُ تصفيقاً ؟ لم لا اسمعُ آياتِ الشُّكْرِ ؟
أينَ الشَّاعِرُ يا عزَّ الدين ؟ هَيَّا احْتَفِلُوا برجُوعِ النَّجَّارِ إليكم .
احتفلوا بزوال الغُمَّةْ .
وزواجِ السلطانِ القائمِ سيفِ الدِّينْ .. من خاتون !
أين الشاعرُ يا عزَّ الدين ؟ هيا .. هذا وقتُ الفَرْحَةِ والأفْراح .
(لا أحد يرد فيثور)
هيا قلتُ لَكُمْ .. هيا .
محمود ـ أتَرَى يا عَلَمَ الدِّين ؟ لم تَعُدِ النَّاسُ تُصَدِّقْ .
لا شك بأنَّكَ أمهرُ من ناب عن السلطان ..
أيًّا كان السلطانْ .. كنتَ النَّائِبْ .
ولسوفَ تظلُّ تنوبُ عن الحاكمْ .
وتدبرُ خُطَطَ النَّصْرِ وَأَوْهَامَه .
حتى آخرِ عُمْرِكْ ..
لكنَّكَ يا عَلَمَ الدِّين .. لا تعرفُ أَهْلَ البَرّ .
لَمْ يَأْتِ أولئكَ وبِيَدِهِمْ شُعْلاتُ النَّارِ المُوقَدَةِ الحمراء .

كى يحتفلوا . .
بل قد فاضَ الكَيْلُ بِهِمْ .
الفَرْحُ محالٌ يا عَلَمَ الدِّين .
فَرَحُ أمِّ علية . . إذ لا توجدُ فى الدَّارِ عَلْيةْ .
واهاً لكَ يا أمّ عليّة . . هل يقدرُ أَحَدٌ أَنْ يُوقِظَهَا .

فرج ــ اسكتْ يا محمود .

عبيد ــ نحنُ تعاهَدْنا يا محمود .

محمود ــ وتعاهَدَ معنا مسعودٌ ألاّ نُفْشِىَ سِرَّ البنتِ المسكينة .
لكنّ أمّ عليةَ تعرفْ .
وعليها أنْ تقبلَ ما تعرفُ لا أنْ تلهثَ خَلْفَ سَرَابْ .

ام علية ــ (منهارة) ماذا تعنى يا محمود ؟

محمود ــ أعنى أنّك مازلتِ صغيرة . .

ام علية ــ (تبكى) وعليّةُ يا محمود ؟

محمود ــ لا توجدُ فى الدَّارِ عليّة .
لكنْ من يدرى .
أَفَلاَ يمكنُ أَنْ تأْتِىَ فى الغَدِ أو بَعْدَ الغَدْ ؟
هذا محتومٌ يا أَصْحَابْ .
إذْ أنَّا فَتَّحْنَا أَعْيُنَنَا . .
أمّا خاتونُ المسكينة .

فلسوفَ تَظَلُّ حبيسةَ وَهْمِ الفارِسِ ذى اللّونِ الأسمر .

علم الدين ـ إنّا أَطْلَقْنَاكَ فَعُدْ يا محمود . .
هَيّا . . وَأَمَرْنا بالأخشاب بأن ـ

محمود ـ لَنْ تُجْدِىَ أخشابُك فى تَضْمِيدِ جِراحِ النّاس .
إذْ أَنَّ جِراحَهُمُو أعمق !
وَمَصَائِبُهم تَكْمُنُ فى عَيْشِهِمُو فى هَذَا العَصْر .

علم الدين ـ قُلْتُ لَكَ اغْرُبْ عن وَجْهى . .
عُدْ للسُّوقِ وَخُذْ أَصْحَابَكْ . .

محمود ـ وَيَظَلُّ على رَأْسِ الدَّوْلَةِ هذا الثّالُوثُ الأَحْمَقْ ؟

علم الدين ـ محمودُ تَعَقَّلْ .

(يدخل صمغار الجاسوس التترى فى زى نجار مصرى)

صمغار ـ أَيْنَ السلطانُ أنا عاوزه .
إنّى نَجّارٌ مصرىٌّ واجيدُ العَرَبية .

(يضحك محمود وتضحك حسنة)

اين السلطان ؟ وَرُّونى أين السلطان ؟

محمود ـ سلطانُ البَرِّ قَضَى يا سَيِّدْ صمغار .

صمغار ـ قضى ماذا ؟ قل لى ؟

محمود ـ سلطانُ البَرِّ قضى نَحْبه .

صمغار — (حائراً) قضى ماذا ؟ لكنْ أينَ يكونُ الآنْ ؟
محمود — فى القَبْرِ يُحَاسِبُه مَلَكٌ أو مَلَكَانْ .
صمغار — مَلِكٌ ويحاسبه مَلِكَانْ ؟
محمود — اسمع يا صمغار . . قد جئتَ إلينَا بعدَ فواتِ
المَوْعِدِ فاسْكُتْ .
صمغار — صمغار؟ صمغار؟ من صمغار؟
إنّى نجارٌ وأجيدُ اللغة العربية .
محمود — قُلْ لِلتّتار إنَّ سلطانَ البِلادِ قد قُتِلْ .
وَقُلْ لَهُمْ : القاتِلُ الأثِيمُ يَحْكُمُ الدِّيار .
وقل لهم : الحاكمُ الجديدُ خائرُ القوى ضعيفٌ
واهنٌ سفِيهْ .
خذوه يا حراسُ من هنا فلنْ يزيدَ عِلْمُه عمَّا سَمِعْ .
(يأخذه الحراس بين دهشة الامراء)
والآن سوف أحكى يا عُبيد ما سَمِعْت .
سيف الدين — صَمْتاً ! هذا أكثرُ مما يَحْتَمِلُ الإنسان .
محمود — الواقعُ أن القَاتِلَ لَمْ يَبْرَحْ هذا القصر .
سيف الدين — (صارخاً) صمتاً !
محمود — ولستَ أنتَ سيفَ الدِّينِ . . لا . .
فلستَ تستطيعُ حَمْلَ السَّيفْ !
لكنَّ خادِمَك المطيعَ عزُّ الدين . .

عز الدين ــ (مقاطعاً) يكفى هذا يا محمود . .

محمود ــ أحلامُك البلهاءُ يا عُبَيْدُ تبتدى هُنَا . . وَتَنْتَهِى هنا .

هَلْ خُضْتَ أهوالَ الحروبِ فى مَعِيَّةِ السُّلطانِ . .

سيفِ الدين ؟

نازلتَ فُرسانَ التَّتارِ فى مَعِيَّةِ الكُمَاةِ من أَمْثَالِهِ ؟

إنْ كنتَ تَعْرِفُ الذى عَرَفْتُهُ ما قُلْتَ يا عُبَيْدُ كِلْمَةً

كهذه . .

من ساعةٍ أو بعضِ ساعة . .

عز الدين ــ ماذا تبغى يا محمود . . اسكت . .

محمود ــ جاءتنى فى السجن امرأة .

وحكت لى قصة ذاك المارد .

قصةَ مفتولِ العضلاتِ المُتَبَاهى سيفِ الدين . .

وَحَكَتْ لى لَحْظَةَ أَنْ واجَهَ سلطانَ الدَّوْلة يرحمه

الله . .

بل كيفَ ارْتَعَدَ وكيفَ بكى . . كان يواجُه وَهْماً

أَضْنَاه .

وَتَخَاذَلَ ساعِدُهُ الأَيْمَنُ والسلطانُ يُقَهْقِهُ . .

حِينَ تَقَدَّمَ عزُّ الدينِ فَعَاجَلَهُ بالخِنْجَرْ .

سيف الدين ــ (صائحاً) هذا كَذِبٌ فَاضِحْ .

(يتقدم منه فيتراجع)

. . .

محمود ــ هذا هُوَ مَنْ مَلأَ الدّنيا بِضَجِيجٍ لا يَهْدَأُ . .
عن حَرْبِ التّتَر وأَهْوالِ الرَّوْع .
سيف الدين ــ (منهاراً) غازيةٌ كذَّابَةٌ .
محمود ــ إنّ الذّى تَصَدّى للتّتار يا عُبَيْدُ هُمْ جُنُودُنا
المُجَالِدُون الصَّامِدُون .
أمّا الذى تراهُ ها هُنا فَرِعْدِيدٌ مُسَالِمْ . .
مِثْلُ الذى سَبَقَهْ . .
هذا يريدُ السِّلْمَ والأَمَانْ .
وذاك ينشدُ السَّلاَمَةْ .
إنَّ انْتِصَارَنَا على التَّتَارِ يَبْتَدِى هُنا وينتهى هنا . .
بل أىُّ حَرْبٍ ذاتُ أَضْراسٍ وطِحْنٍ تبتدى هنا . .
علم الدين ــ لن اسمحَ للمصرىّ بهذا اللّغْو .
محمود ــ ألهذا أَغْمدتَ الخِنْجَرَ فى صَدْرِ امرأةٍ عَزْلاء ؟
لَمْ تَقْدِرْ أن تتحملَ كِلْمَةَ حَقٍّ من مصرية ؟
ولماذا قُتِلَتْ غازيةُ المِصْرِيَّةُ قل لى ؟
أتُرَاهَا خانتكم حين أَحَبَّتْ هذا الوَطَنَ الغالى ؟
علم الدين ــ لن أقبلَ أن تَعْرِضَ لاسْمِى .
محمود ــ ولماذا يا مَنْ تطمعُ فى السلطانِ
وتحيا كالدِّيدانِ . . ذَلِيلاً ترقُصُ للسلطان
كيما تَلْدَغه إن سَنَحتْ فُرْصَةْ .

علم الدين ــ مولاى هذا الغِرُّ قد تَطَاوَلْ !
ولم يَعُدْ فى وُسْعِنا إلا الرجوعُ عن غُفْرانِنا .
محمود ــ غفرانُكم .. أسطورةُ القرون !
لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ الله فافْتَحُوا عيونَكُم .
سيف الدين ــ فَلْيُقْتَلْ فَوْراً ..
محمود ــ لا بأسَ بشرطٍ واحدْ ..
أنْ تَقْتُلَنى أنت .
(هرج ومرج ولغط يتقدم شهبندر)
محمود ــ لا تَقْلَقْ يا شهبندر .
فلدىَّ ذراعٌ صُلْبَةْ .. وَسَأُلْقِى فى قَلْبِ الرَّجُلِ الرُّعْب .
خاتون ــ البطلُ المِغْوَار !
محمود ــ واهاً لَكِ يا خاتون .
لَيْتَكِ ما جئتِ ولا رُمْتِ الفَارِسَ ذا اللونِ الأسمر .
(علم الدين يتهامس مع سيف الدين)
شهبندر ــ لن نَقْبَلَ أن يُؤْذَى محمود ..
فرج ــ وَلَسَوْفَ يعودُ إلينا ..
عبيد ــ بل دَعْنى أتصَدَّى للرِّعْدِيد .
وَسَأَبْنِى جَيْشاً لا آخِرَ لَهْ .
محمود ــ لن تَبْنِىَ شَيْئاً حتى يَتَهَدَّمَ هذا الصَّرْح !

عز الدين ـ (صائحاً) ترى نسيتم أيها الرَّعَاعُ أنكم بحضرةِ السلطان ؟
إنِّى باسْمِكَ يا مولاى .. أَقْتُلُ هذا الوَغْدَ الكَافِرْ .
(يطعن محمود ـ على الفور يخرج شهبندر)
أمّا أَنْتُم فَلَكُمْ فى الدَّولة أَلْف حساب ..
والجاهلُ من يجهلُ قوةَ هذا الخِنْجر .

محمود ـ (وهو يغالب الالم) لقد طَعَنْتَ شَعْباً كَامِلاً يا أيها الآثِيمْ .
لقد طَعَنْتَ هؤلاءِ الناس .. وَلَنْ يُوَلِّىَ النَّهارُ حتى يَعْرِفَ التَّتَارُ
أننا وُلِدْنا من جَديدْ .

(يعود شهبندر لاهثاً)

شهبندر ـ قد أَشْعَلَ النُّوتِيَّةُ الضِّرامَ فى المَدَاخِلْ .
النَّارُ فى كُلِّ مكان .

(هرج ومرج)

محمود ـ امضوا أنتم وَدَعُونى (فى الم) .
النارُ عَذَابٌ لا يملِكُه إلا القَهَّارْ .

شهبندر ـ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ الْتَهَمَتْ مَخْزَنَ أسلحةِ السلطانِ وَمَخْزَنَ أَخْشَابِه !

محمود ــ (فى سكرات الموت) لا تَخْشَ على الأخْشَابْ .
(يبتسم بسمة مريرة) .
فغداً تأتى سفنُ الأخشابِ مُحَمَّلَةً . .
بقيادةِ شهبندر .
وغداً يخرجُ جيشُ المصريين إلى بَرِّ الشام .
لِيَرُدَّ غُزَاةَ التَّتَرِ ويُعْلِيَ شَأْنَ الإِسْلام .
(يتهاوى ويلفظ انفاسه)

شهبندر ــ (فى ألم) هذا وَعْدٌ أَقْطَعُهُ يا محمودُ على نفسى . .
ولسوفَ يحاربُ فى الصَّفِّ عُبيدٌ وَفَرَجْ . .
ولسوفَ يحاربُ مسعودٌ . .
ولسوف يحاربُ كُلُّ رجالِ البَرِّ . .
حتى إن حَمَلُوا اسلحةً من خَشَبِ المُوسكى .
(فى خلفية المسرح السنة النار تملأ الدنيا بلون احمر)
(إلى المماليك) أما أنتم فَلَدَيْكُمْ لا شَكَّ جحورٌ كالفئران .
فليهربْ من يرجو منكم عَيْشَ الفِئْرَان . .
(هرج ومرج فى صفوف المماليك)
أما إن سَقَطَ القَصْر عليكمْ . .
أو كانَ دُخَانُ النَّارِ كثيفاً

فاختنقَ البعضُ وماتَ البعضُ من الهَلَعِ الأكبر
أو كُنْتُمْ للنَّارِ وَقُوداً فاسْتَعَرَتْ مِنْكُم وبِكُمْ
فالعاقبةُ سواءٌ فى أَعْيُننا
لَنْ نَبْكِيَ سيفَ الدِّينِ وعلمَ الدِّينِ وعزَّ الدِّين
بل لنْ نبكىَ خاتونَ المسكينة
فالقصرُ سواءٌ فى أعيننا . .
أَمَّا صِمْغارُ فسوفَ يعودُ بِأَخْبَارٍ لَمْ يَتَوَقَّعْها . .
هيا يا حُسْنة . .
(يتقدم ممسكاً يدها إلى مقدمة المسرح)
فى لَهَبِ اللَّيلِ سيولدُ صُبْحُ الغَدْ
وَغداً تصحُو القاهرةُ على أَنْغَامِ المَوْلِدْ .
(تعلو السنة النيران ويملأ المسرح دخان كثيف ــ
بينما يثبت الممثلون فى امكانهم وتهبط الستار) .

ستار الختام

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٨٨ / ١٩٩٠

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٣٥٦ ـ ٠



عندما يدخل محمود النجار قصر السلطان المملوكى ليطلب بعض الأخشاب ، يظنه الجميع جاسوساً أرسله التتار تمهيداً لغزو مصر .. ثم يُقتل السلطان .. وُيتهم محمود بقتله ..

وتتوالى أحداث مسرحية جاسوس فى قصر السلطان للمؤلف الذى قدم للمسرح المصرى مسرحية الغربان الشعرية عام ١٩٨٨ ومن قبلها عدداً من المسرحيات النثرية (بالعامية) أهمها البر الغربى وميت حلاوة والمجاذيب .. وقدم له المسرح المصرى العديد من المسرحيات المترجمة والممصرة ..

26
3
26
Bibliotheca Alexandrina
0203739

مطابع الهيئة المصرية

٢٦٠ قرشا